القديس أثناسيوس الرسولي

ضد أبوليناريوس

(شرح تجسد الابن ربنا يسوع، وموته وقيامته
واتحاد اللاهوت بالناسوت)

تعريب وتعليقات وملاحظات

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

القديس أثناسيوس الرسولي

ضد أبوليناريوس

(شرح تجسد الابن ربنا يسوع، وموته وقيامته)

(واتحاد اللاهوت بالناسوت)

تعريب وتعليقات وملاحظات

دكتور

جورج حبيب بباوي

يناير ٢٠١٦

اسم الكتاب : القديس أثناسيوس الرسولي ضد أبوليناريوس.
شرح تجسد الابن ربنا يسوع، وموته وقيامته واتحاد اللاهوت بالناسوت.
الكاتب : القديس أثناسيوس الرسولي.
تعريب : وتعليقات وملاحظات دكتور جورج حبيب بباوي.
الناشر : جذور للترجمة والنشر والتوزيع
الطبع الأولى : الأولى يناير ٢٠١٦.
المطبعة : جي سي سنتر - مصر الجديدة
رقم الإيداع : ٢٠١٥/٢٣٧٢٧
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 5086 11 2

أبونا القديس أثناسيوس الرسولي

حامي الإيمان

فهرس

تنويه: ٥

الكتاب الأوَّل تجسُّــــد ربنا يسوع المسيح

مقدمة تاريخية ولاهوتية: ١٣

مقدمة تاريخية عن الكتاب: ١٣

الترجمة العربية: ١٤

لماذا اهتم الآباء بوجود نفس إنسانية في المسيح المتجسد؟ ١٤

لماذا أنكر الهراطقة وجود نفس إنسانية في المسيح؟ ١٥

اتحاد اللاهوت بالناسوت كقاعدة أساسية للخلاص: ١٧

الفروق الأساسية بين الأرثوذكس والهرطقات: ٢٠

نزول المسيح إلى الجحيم: ٢١

تجسُّد ربنا يسوع المسيح

عدم الثبات في الإيمان: ٢٣

تعليم الآباء عن المسيح: ٢٤

ماذا يقول أصحاب هذه البدعة؟ ٢٤

ندعوهم لمعرفة الحق وترك الخطأ: ٢٥

جسدُ المسيحِ مخلوقٌ، ولاهوته غيرُ مخلوقٍ: ٢٥

رجاءُ الإنسانية في اتحاد المخلوق بغير المخلوق في المسيح: ٢٧

الإنسانية ليست من جوهر الله: ٢٨

تجديد طبيعتنا بتدبير تجسده: ٢٨
جسدُ المسيح قابلٌ للموت: ٢٩
نعبد المسيح الواحد الإله المتجسد: ٣٠
جسد المسيح لم يتزل من السماء: ٣١
آدم الأول وآدم الثاني: ٣٢
لنتمسك بتعليم الإنجيل: ٣٣
الشرح السليم للتجسد: ٣٤
المسيحُ إلهٌ وإنسانٌ، دون أن ينقسم إلى اثنين: ٣٧
معنى الكلمة صار جسداً: ٣٨
اسم ''المسيح'' يعني اللاهوت والناسوت معاً: ٤٠
عمل نفس المسيح الإنسانية في الجحيم: ٤٢
إدراك الجسد والنفس من السقوط والعقوبة: ٤٢
المسيحُ أخذ إنسانيةً كاملةً بما فيها العقل الإنساني: ٤٣
الخطية ليست جزءاً من تكوين الطبيعة البشرية: ٤٣
الإنسانُ لم يُخلق بطبيعةٍ خاطئة: ٤٤
المسيح لم يأخذ جسداً فقط بدون نفسٍ عاقلةٍ: ٤٥
المسيحُ له عقلٌ إنساني: ٤٥
المسيح هو الإله الكامل والإنسان الكامل بلا انفصال: ٤٦
اللاهوت والناسوت صارا واحداً كاملاً هو الإله المتأنس: ٤٦
إنسانية المسيح بلا خطية، وهي الإنسان الجديد لنا: ٤٧
التأمُّل في تدبير الصليب: ٤٨

الله لم يحكم على صورته، بل على إرادة الخليقة: ٤٩
المولود من العذراء إلهٌ متجسِّد: ٥٠
الجسد غير النفس، والنفس هي روح الإنسان: ٥١
البشريةُ عاجزةٌ عن تجديد ذاتها بدون المسيح: ....
أهمية مجيء المسيح وتجسده: ٥١

الكتاب الثاني ظهور المسيح المُحيي

مقدمة لاهوتية: ٥٧
أهمية الكتاب الثاني: ٥٧
وساطة المسيح: ٥٨
(أ) مَن هو الوسيط؟ ٥٨
(ب) تعليم الهراطقة عن الوسيط: ٥٩
(جـ) تناقض الهرطقات مع حقائق الخلاص: ٦٠
(د) ماذا يعني الخطأ في فهم الاتحاد، أو إنكار النفس الانسانية؟ ٦٢
(هـ) الاتحاد وموت المسيح على الصليب: ٦٤
(و) النعمـــة: ٦٦

ظهور المسيح المحيي

المسيحُ إلهٌ متجسِّدٌ: ٦٨
اسمُ «المسيحِ» يشير إلى التجسُّد: ٦٩
معنى مَسح يسوع بالروح القدس: ٧٠

أفكارُ الهراطقة عن التجسد: ٧٠
مَن هو المسيح؟ ٧٢
اتحاد الله بالإنسان لتجديده وخلاصه: ٧٣
العقل والفكر الإنساني لم يكن خاطئاً أصلاً: ٧٤
كيف أباد أعمال الشيطان؟ ٧٥
المسيحُ إلهٌ تجسَّد ليخلِّصَ الذين يؤمنون: ٧٦
النَّفسُ غير الجسم: ٧٧
معنى «منذ حداثته»: ٧٧
ربُّ المجدِ: ٧٨
المسيحُ حطَّم ناموسَ الخطيةِ وسبى الشيطان: ٧٩
تجسَّدَ ليعطي الحياةَ للإنسان: ٨٠
متى نال الإنسانُ التجديد؟ ٨١
الإيمان الحقيقي: ٨١
المسيحُ غيرُ متألمٍ كإلهٍ، ولكنه تألم لأنه تأنَّس: ٨٢
شهادة الكتب المقدسة عن التجسد: ٨٤
نفسُ المسيحِ، وجسدُه: ٨٦
معنى اتحاد الله بالجسد: ٨٧
معنى «صلبوا ربَّ المجد»: ٨٨
الكلمة هو الإله ... وهو ذاته تجسد: ٩٠
كلمة «الجسد» تتضمن كيان الإنسان كله: ٩٠
المسيح هو بذاته إلهٌ وإنسانٌ معاً: ٩١

تنويه

يحوي هذا المجلد كتابين، هما آخر ما كتب القديس أثناسيوس الرسولي قبل انتقاله إلى عالم النور في عام ٣٧٣، ضد أبوليناريوس أسقف اللاذقية في سوريا، والذي كان ينكر وجود نفس إنسانية في ربنا يسوع. الكتاب الأول بعنوان ''تجسد ربنا يسوع المسيح''، وسبق أن نشرته مؤسسة القديس أنطونيوس في يناير ١٩٨٣. والكتاب الثاني بعنوان ''ظهور المسيح المحيي''، وسبق أن نشرته ذات المؤسسة في يناير ١٩٨٤. وها نحن نعيد نشرهما معاً لوحدة موضوعهما من ناحية، ومن ناحية أخرى لنفاد الطبعة الأولى منهما نظراً لمرور فترة طويلة منذ نشرهما لأول مرة.

نطلب من الرب يسوع أن يعطينا جميعاً بركةً ونعمةً بشفاعة والدتنا القديسة مريم العذراء، والقديس أثناسيوس الرسولي. له المجد الدائم في الكنيسة مع الآب والروح القدس إلى الأبد آمين.

رفاع صوم الميلاد ٢٠١٥

دكتور

جورج حبيب بباوي

الكتاب الأوَّل

تجسُّـد ربنا يسوع المسيح

مقدمة تاريخية ولاهوتية

مقدمة تاريخية عن الكتاب:

قبل أن ينتقل القديس أثناسيوس إلى عالم النور في مايو٣٧٣، كان قد ترك مسودة كتاب بعنوان «تجسد ربنا يسوع المسيح» وهو الكتاب الذي ننشره الآن كآخر ما سجَّله هذا العملاق العظيم.

والكتاب موجه ضد الذين ينكرون وجود نفس إنسانية human soul في المسيح وهو الاتجاه الذي صار يُعرف بعد ذلك باسم هرطقة أبوليناريوس أسقف اللاذقية في سوريا (امتدت أسقفيته من ٣٧٢- ٣٩٢). ونص الكتاب نشر في المجلد ٢٦: ١٠٩٣- ١١٦٦ من مجموعة الآباء اليونانيين ولم ينشر في السلسلة الإنجليزية المعروفة (آباء نقية وما بعد نيقية). كما لم يترجم بعد إلى اللغات الأوربية الحديثة ما عدا ترجمة فرنسية للنص السرياني وهو نصٌّ غير كامل.

ويعود عدم الاهتمام بهذا الكتاب إلى أن بعض علماء اللاهوت وعلماء الآباء لم يعتبروه بقلم أثناسيوس الرسولي، وإنما كُتِبَ بعد وفاته، وقد ظلَّ هذا الموقف سائداً مدارس اللاهوت في الغرب حتى مطلع القرن العشرين عندما دافع عن صحة نسبة الكتاب إلى أثناسيوس الأستاذ اليوناني الأرثوذكسي Ch. Demetropulos وأستاذ الآباء في السوربون G. Barby وأخيراً أستاذ الآباء السابق في جامعة أدنبرة T. F. Torrance وحجة النقاد هو اختلاف أسلوب هذا الكتاب عن أسلوب أثناسيوس المعروف به في سائر كتبه. ولما كانت هذه هي الحجة الوحيدة التي أستند عليها هؤلاء النقاد فقد حاولوا نسبة الكتاب إلى العلامة ديديموس الضرير أو تلميذه القس إمبروسيوس الإسكندري. ولكن من الواضح

أن الموضوع جديدٌ جداً ويختلف تماماً عن البدعة الآريوسية، وعن الموضوعات الأخرى التي عالجها أثناسيوس في كتاباته. ومن الثابت تاريخياً أن أثناسيوس كتب هذا الكتاب قبل وفاته بأيام، وأن الجداول التي وُضِعَت في عصر الآباء كانت تضع هذا الكتاب ضمن مؤلفات القديس أثناسيوس.

الترجمة العربية:

تعد هذه أول ترجمة للكتاب بعد الترجمة السريانية، وقد اعتمدت على النص اليوناني والترجمة اللاتينية التي عُرفت في العصور الوسطى. وقد احتفظنا برقم الفقرات كما ظهر في المجلد ٢٦ من مجموعة الآباء اليونانيين. أما العناوين الجانبية فهي من وضع الناشر حتى تسهل قراءة الكتاب.

لماذا اهتم الآباء بوجود نفس إنسانية في المسيح المتجسد؟

يبدو لمن لا يؤمن بالتجسد أن الفرق بين وجود النفس الإنسانية أو عدم وجودها هو فرقٌ ضئيل وبلا أهمية، ولكن الذي يؤمن بأن «الكلمة صار جسداً» (يو ١: ١٤)، يدرك تماماً أن عدم وجود نفس إنسانية معناه أن المسيح لم يكن إنساناً حقيقياً ومثلنا في كل شيء. وقد حصر الآباء جميعاً عمل المسيح في الحقائق التالية:

أولاً: أنه من جوهر الآب ومساوي له في كل الصفات.

ثانياً: أنه إنسانٌ كاملٌ له نفس وجسد وكل صفات الإنسانية ماعدا الخطية.

ثالثاً: أن اللاهوت الكامل وأقنوم الابن اتحد اتحاداً كاملاً بناسوتٍ كامل.

بدون هذه العناصر الثلاثة معاً يستحيل علينا أن نتكلم عن تجسد الكلمة. والنقطة الثالثة ذات أهمية خاصة، ذلك أن وجود لاهوت كامل في ناسوت كامل بدون اتحاد حقيقي، لا يخدم الإنسانية في شيء.

لقد انزعج الآباء من إنكار وجود النفس الإنسانية، وعبَّر القديس غريغوريوس النزينزي عن هذا بقوله: "ما لم يتحد به الرب عندما تجسد هو ما بقي بدون شفاء،

أما ما اتحد بألوهيته فقد خَلُص. إذا كان نصف كيان آدم فقط (الجسد) قد سقط، فإن ما اتحد به الرب هو نصف آدم، وبالتالي خَلَّص هذا النصف'' (رسالة: ١٠١).

فالخلاص تحقق باتحاد لاهوت ربنا بكل مكونات الإنسان، وهذا يعني أن ما أخذه الرب قد نال الفداء بالاتحاد؛ لأن المسيح قدَّس الناسوت بالاتحاد، ورَفَعَه إلى شركة غير تلك التي كانت كائنة قبل التجسد. ولذلك يكمِّل القديس غريغوريوس عبارته السابقة ويقول: ''لقد حكم على عقلنا، وهذا يعني أنه قد حكم على جسدنا أيضاً. فإذا كان الرب قد اتحد بما هو وضيع (الجسد) لكي يقدِّسه، فهل لا يتحد بما هو سام ... لقد سقط آدم بعقله أولاً، ولذلك كان على المسيح أن يأخذ عقلاً إنسانياً لكي يقدِّس العقل الإنساني'' (المرجع السابق، وراجع أيضاً مقالة ٢٢: ١٣).

بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت نال الإنسان الخلاص، وهذا يعني أن ثمار وقوة وقداسة هذا الاتحاد تُنقل إلى كيان كل إنسان يشترك مع المسيح، وهذا ما يسجِّله معلمنا أثناسيوس مؤكِّداً أننا بدون الاتحاد ''تفقد الإنسانية الرجاء وتبقى في ضعفها ... وتزول النعمة تماماً'' (فقرة: ٤).

بالاتحاد تقدَّسنا لأن العنصر المشترك بين المسيح والبشرية هو الناسوت وليس اللاهوت، وبالتالي فناسوت المسيح -كما يسميه أثناسيوس- هو الأداة أو الوسيلة التي منها وبها تعبر الحياة الإلهية وتصلنا، وهي الحياة التي تستطيع أن تغلب الفساد والموت وتُنهِض الإنسان حياً إلى الأبد. (راجع المقالة الثالثة ضد آريوس: ٣١، ٣٥). وبذلك نرى أن إنكار كمال إنسانية المسيح يؤدي إلى نتيجة مرعبة، وهي إنكار خلاص النفس والادعاء بأن الجسد هو الذي خلص وحده.

لماذا أنكر الهراطقة وجود نفس إنسانية في المسيح؟

من الآباء جميعاً، ولا سيما أثناسيوس، ندرك أن المصدر الحقيقي لهذا الإنكار ليس سوى المانوية والغنوسية بمدارسها المختلفة وعلى رأسها مدرسة مرقيان.

كانت المانوية والغنوسية تعتبران أن الشر موجود في المادة، وأن الإنسان يجب أن يتخلص من جسده لكي يتطهَّر ويتقدَّس. ولكن كيف أدى هذا إلى إنكار وجود النفس التي اعتقد هؤلاء الهراطقة بأنها من صنع إله الخير والنور، وإنها عكس الجسد الذي صنعه إله الشر. الجواب واضح جداً إذا تتبعنا النتائج المنطقية التي ينتهي إليها أي فكر متطرف. فقد أنكر ماني ومرقيان أن المسيح وُلِدَ من العذراء، وأن له جسداً حقيقياً، بل أن جسده نزل من السماء (راجع الفقرة: ١٢). ولما كان الفرق الجوهري بين الهراطقة والكنيسة الجامعة حول موضوع الشر هو فرقٌ دقيقٌ وخطير، اذ يعتقد جميع الهراطقة بأن الشر هو جزءٌ من الخليقة، وأن له جوهراً وكياناً صنعه الخالق، أما الكنيسة الجامعة فتؤكد أن الشر بلا جوهر وبلا كيان، بل هو من اختراع العقل الإنساني، وأن الإنسان ليس بالطبيعة شريراً، وإنما يصبح كذلك إذا مارَس الشر. وحتى الطبيعة الإنسانية بعد السقوط، لم تَعُد طبيعةً شريرةً، بل طبيعةً مريضةً، و لم يحوِّل سقوط الإنسان، الطبيعة الإنسانية إلى شر، بل أدخل عليها الشر والفساد والموت، فصارت محتاجة إلى الخلاص والحياة الأبدية.

ويؤكد أثناسيوس هذا بقوله: ”ما الذي حكم الله عليه في البدء؟ هل على الخليقة التي صوَّرها الخالق وصنعها؟ أم على العمل الصادر من إرادة الخليقة؟ فإذا دان الله الخليقة التي خلقها، فقد دان نفسه وأصبح في هذه الحالة مثل البشر ... فالله دان العمل الصادر من إرادة الخليقة التي كوَّنها وصورها..“ (فقرة: ١١).

ولأن الكنيسة أكَّدت تجسد ابن الله، وأن ناسوته هو ناسوتٌ حقيقيٌّ، جاء هراطقة آخرون أمثال الأسقف أبوليناريوس وأخذوا ذات المبدأ المانوي والغنوسي وطبَّقوه على النفس الإنسانية. ونقطة الحق الوحيدة عند الهراطقة هي أن النفس أو العقل هو مصدر الفكر، وبالتالي هو الذي يحرك الجسد (فقرة: ٢٠). فكيف يمكن للمسيح أن يأخذ نفساً إنسانية، وأهم ما يميزها هو العقل، ولا يخطئ مثلنا؟ (راجع الفقرة: ١٦). والجواب الواضح عند أثناسيوس وغيره من الآباء هو أن الصراع الداخلي الذي فينا هو ”ما اخترعناه نحن من شرور نبتت من غواية

الشيطان الذي علَّمنا كيف نعصي الله وزرع هذه الغواية في طبيعتنا" (فقرة: ١٧). أما في حالة الرب المتجسد، فلا يوجد فيه صراع داخلي بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهوما يعني أن الرب لم يتخلى عن ألوهيته عندما تجسد، وبالتالي، فعدم الخطأ وانعدام الصراع الداخلي هو أمرٌ مؤكد (فقرة: ١٧).

اتحاد اللاهوت بالناسوت كقاعدة أساسية للخلاص:

يبدو لكثير من المسيحيين أن موت المسيح على الصليب هو قضية أو نظرية عويصة، وأنها تحتاج لشروحٍ كثيرةٍ وإيضاحات وتشبيهات، ولكن موت المسيح على الصليب أبسط مما نظُن، لقد قَبِلَ المسيحُ أن يأخذ طبيعتنا، وأن يحوِّل هذه الطبيعة المائتة والفاسدة إلى حياة وعدم فساد وقيامة. هذا التحول تمَّ أولاً بالاتحاد الذي نقل إلى الناسوت قوة اللاهوت مثل القداسة والحياة التي أقامت الموتى بلمسة من يده أو من طرف ثوبه، كما في حالة المرأة النازفة الدم. ولقد شرح أثناسيوس هذا بإفاضة في كتاب «تجسد الكلمة»، وخصص بعض الفصول الكاملة لشرح اتحاد اللاهوت بالناسوت (فصل ٤٣ – ٤٤)، ولذلك لم يدخل في هذا الموضوع بالتفصيل أو الشرح الموسَّع كما فعل في تجسد الكلمة، وإنما لمس موضوع الاتحاد من خلال تأكيد أهمية كمال الناسوت. والنقطة الهامة عند القديس أثناسيوس أن الاتحاد لا يلغي صفات الجسد بالمرة، وهو لذلك يؤكد أن الناسوت لم يصبح مثل اللاهوت بالمرة، بل ظل ناسوتاً، ومن الخطأ أن نصف الناسوت بأنه غير مخلوق: "فإذا قيل إن الناسوت غير مخلوق بسبب اتحاده بالكلمة غير المخلوق، فكيف نَمَت القامة، ولماذا لم نَرَه إنساناً كاملاً وتاماً منذ الاتحاد، فالذي ينمو ليس إلَّا مخلوقاً. والادعاء بأن الذي ينمو في القامة هو غير مخلوق كفرٌ وتجديف؛ لأننا نعني بغير المخلوق ما هو بالطبيعة الله، حيث لا مجال للنمو أو النقص في طبيعته" (فقرة: ٣).

ويعود ليسأل من جديد: "أما الادعاء بأنه بواسطة الاتحاد صارت طبيعة

الناسوت غير مخلوقة، وصارت مساوية في الجوهر للاهوت، أي لها نفس الصفات، فهذا بدوره كفرٌ'' (فقرة: ٥). وبالطبع الكفرُ هنا يعود إلى أن هذا الادعاء يفتح باب الكلام بانضمام أقنوم رابع للثالوث وهو خطأٌ جسيم ضد الإيمان المسيحي كله (راجع فقرة:٩). ما يؤكده أثناسيوس هو أن التجسد يعني بقاء الناسوت كما هو طبيعة إنسانية لا تتحول إلى طبيعة إلهية بالمرة (راجع فقرة: ١٠). وأن إضافة القداسة والحياة والقيامة، هي بسبب الاتحاد وليس بسبب تحول الناسوت إلى لاهوت، ولذلك في عبارة قصيرة موجزة يقول أثناسيوس إن التجسد هو ''الكلمة صار جسداً وليس الجسد الذي صار الكلمة'' (فقرة: ١٠- راجع أيضاً فقرة: ١٢).

وبسبب الاتحاد أمكننا أن نقول عن الناسوت أنه ''جسد مجده'' (في٣: ٢١ - فقرة:١٠). وأمكننا أيضاً أن نقول ان المسيح رَفَعَ الصورة الآدمية إلى صورة إلهية فائقة بسبب الاتحاد، فقد وُلِدَ ميلاداً طبيعياً كسائر البشر من العذراء لكي يؤسس بداية جديدة للجنس البشري عوضاً عن البداية التي أخذناها من آدم (راجع فقرة: ١٢).

وهكذا، بالاتحاد، نقل الكلمة إلى الناسوت ما فقده الناسوت بالسقوط. وأضاف إليه الثبات وقوة الحياة الأبدية. وهكذا حتى في موت المسيح على الصليب، وبسبب الاتحاد بين الناسوت واللاهوت، ورغم انفصال النفس عن الجسد بسبب الموت، لم تخضع نفسه الإنسانية لسلطان الموت، ولا رأى جسده في القبر فساداً بسبب الاتحاد'' (فقرة: ١٤).

ويؤكد أثناسيوس حقيقة انتصار المسيح حتى في موته على الصليب ''لأن الموت لم يستطع أن يقوى على نفس المسيح الإنسانية التي اتحدت باللوغوس، بل عجز الموت عن أن يستعبدها ولا استطاع الفساد أن يذلها أو يأسرها، ومع أن الموت فَصَلَ النفس عن الجسد، إلَّا أن الفساد لم يتجاسر على أن يقترب من أيهما؛ لأن كل الذي حدث، إنما كان تحت السيطرة الإلهية وعنايتها'' (فقرة: ١٤). وعندما مات المسيح على الصليب وانفصلت نفسه عن جسده وظلَّت

نفسه متَّحدةً بالكلمة كما ظلَّ الجسد أيضاً متحداً بالكلمة، فقد أكمل الاتحاد قوة موت المسيح، ذلك أن نفسه الإنسانية قُدِّمت إلى الآب عوضاً عن نفوسنا، وجسده أيضاً قُدِّم عوضاً عن أجسادنا، وهكذا حَمَلَ المسيحُ حكم الموت عنا بانفصال النفس عن الجسد، وقدَّم الكفارة في نفس الوقت بسبب الاتحاد، وأعادنا إلى الحياة بالقيامة (فقرة: ١٦). ويكرر أثناسيوس هذا في عبارات أبسط بكثير من العبارات الواردة في (فقرة: ١٦) حيث يؤكد الاتحاد بقوله: "وهكذا حيث ساد الفساد على جسد الإنسان، قدَّم يسوع جسده، وعندما رُبِطَت النفس الإنسانية بقوة الموت، قدَّم يسوع نفسه، فاستطاع الذي لا يمكن أن يربطه الموت أن يكون حاضراً كإنسان وأن يفك رباطات الموت كإله" (فقرة: ١٧). فالاتحاد هو الذي جعل اللاهوت الذي هو "عديم الموت"، و"عديم الفساد"، حاضراً وفعَّالاً في موت المسيح وقيامته".(فقرة: ١٧). ويصل أثناسيوس إلى أقصى وضوح ممكن عندما يؤكد أن "شخصاً لا يمكن أن يفتدي شخصاً آخر إذا كان مختلفاً عنه في الجوهر" (فقرة: ١٧). وهذا يعني أن يكون المسيح إنساناً حقاً مثلنا، وهو ما يجعله يعطي "جسده من أجل أجسادنا ونفسه من أجل نفوسنا" (فقرة: ١٧). ولكن إنسانية المسيح الحقيقية والكاملة لا تكفي، ولذلك يؤكِّد أثناسيوس بعد ذلك مباشرة إن الخلاص تمَّ بسبب الاتحاد، وإنه إذا فارق اللاهوت الناسوت، فإن هذا يعني أن المسيح مات موتاً خاصاً به هو وحده وليس موتنا نحن (فقرة: ١٨). وهذا يعني بشكلٍ واضحٍ أن موت المسيح يجب أن يكون مثل موت الإنسان أي بانفصال نفسه عن جسده وليس بانفصال اللاهوت عن الناسوت، لأن هذا يقضي تماماً على إمكانية القيامة، ويُظهِر أن التجسد في حدِّ ذاته كان عملاً مؤقتاً وبلا ثمار (راجع فقرة: ١٩).

الفروق الأساسية بين الأرثوذكس والهرطقات:

إن القراءة الدقيقة لهجوم أثناسيوس على البدعة الأبولينارية تؤكِّد لنا أن المعلم العظيم عندما يربط بين إنكار وجود عقل إنساني أو نفس إنسانية في الابن المتجسد، وبين الهرطقات الأخرى المانوية والغنوسية، بل والأريوسية، فقد كان يحرص أشد الحرص على إظهار ليس فقط العلاقة الفكرية بين هذه الهرطقات، وإنما الفروق الأساسية بين هذه الهرطقات والعقيدة الارثوذكسية، ولعل الفارق الجوهري الذي يظهر بكل وضوح هو أن كل نقطة تنكرها الهرطقات يؤكِّد الآباء جميعاً أن إنكارها يلغي النقطة المقابلة في خلاص الإنسان. وبالطبع، أفضل مثال يمكن أن نقدِّمه هو موضوع كتاب "تجسد ربنا يسوع المسيح" نفسه، حيث يظهر بكل جلاء أن إنكار وجود النفس الإنسانية في ربنا يسوع المتجسد، إنما يعني إنكار خلاص النفس الإنسانية لكل البشر. هذا يؤكِّد لنا بشكلٍ واضح أن اشتراك الابن الكلمة في حياتنا وطبيعتنا هو اشتراكٌ حقيقيٌّ، وأن هدفَ هذا الاشتراك هو أن ينقل إلينا الكلمة حياته وقداسته وقيامته، أي ثمار الاتحاد بين اللاهوت الكامل والناسوت الكامل. فإذا جاءت هرطقة وأنكرت أُلوهيته، فقد حذفت اشتراك الله في خلاص الإنسان، وهذا ما فعلته الأريوسية. وإذا جاءت هرطقة، وأنكرت إنسانيته، فقد حذفت حصول الإنسان على النعمة الإلهية، وهذا ما فعلته الأبولينارية ثم النسطورية من بعدها.

وهنا يبقى سؤالٌ جوهري لابُد أن نفهمه بكل دقة: ما هو الفرق الجوهري بين هدف الأرثوذكسية وهدف الهرطقات مجتمعة؟ والجوابُ ظاهرٌ جداً، هدف الأرثوذكسية هو تجديد الطبيعة الإنسانية، وتقديس الإنسان. وهدف الهرطقات هو إعلان مبادئ أخلاقية فاضلة تتدرب عليها الإرادة الإنسانية، بل يمكنها أن تراها في حياة المسيح وتتشبَّه به في السلوك الأخلاقي الحسن، وهذا ما يجعل قضية أُلوهية المسيح وتجسُّده قضيةً ثانوية، طالما أن الهدف هو تحسين أخلاق الإنسان وليس تجديد طبيعته.

إن بشارة الإنجيل كما يقول القديس أثناسيوس: ''قائمة على دعامتين: أُلوهية الكلمة، وتجسُّده'' (فقرة: ١٠). وأُلوهية الكلمة تعني تدخُّل الله المباشر في خلاص الإنسان، أمَّا تجسُّد الكلمة، فيعني ضرورة اشتراكنا في المسيح: ''وهكذا الإله الكائن قبل كل الدهور، ظهر كإنسان، ودُعي المسيح. هذا وحده يجعلنا نحن ''أعضاء المسيح'' كما هو مكتوب: ''نحن من لحمه ومن عظامه'' (أف ٥: ٣)'' (فقرة: ١٣).

ومعنى هذا أن الاشتراك في المسيح هو اشتراكٌ حقيقي. ذلك أننا لا نستطيع أن نتشبَّه بالمسيح حتى أخلاقياً، ما لم نشترك فيه، وهذا يؤكده أثناسيوس بعبارة قاطعة: ''لأننا به تجددنا، وبه نتشبه وفيه نشترك في كمال المسيح الجديد'' (فقرة: ٢١). ويقول أيضاً إن إنكار وجود نفس بشرية معناه أن ''البشرية عاجزة عن أن تجديد ذاتها بدون المسيح، وتجديد النفس التي تقود الجسد لا يتم بدون المسيح ...'' (فقرة: ٢٠).

نزول المسيح إلى الجحيم:

هذا هو أكثر مؤلفات القديس أثناسيوس التي يشير فيها إلى عمل المسيح بعد موته على الصليب عندما ذهب إلى الجحيم. والنقطة الأساسية التي يريد أثناسيوس تأكيدها خاصة بالتسليم الرسولي عن كرازة المسيح للراقدين: «ذهب إلى الجحيم لكي يبشِّر النفوس التي كانت في سلاسل العبودية ...» (فقرة: ١٤).

وقد أشار أثناسيوس إلى الجحيم في الفقرات (٥، ٧، ١٢، ١٣، ١٤، ١٧). ولعل أطول إشارة وردت في الفقرة ١٤. وبالنسبة لمعلمنا أثناسيوس، يُعتَبَر موضوع نزول المسيح إلى الجحيم من الأدلة التي تؤكِّد أن للمسيح نفساً إنسانيةً، وهذا ما جعله يؤكد أن الميلاد من العذراء هو تجديدٌ لميلاد الإنسان، وأن الموت هو إبادة للفساد الذي ملك على الجسد، وإبادة لسلطان الجحيم، وسلطان الموت على النفس (فقرة: ١٧)، وأن القيامة هي إعادة الإنسان إلى المصالحة والحياة الجديدة. وفي نص يشبه الصلاة يقول أثناسيوس: ''أزال من على الأرض حكم الخطية، وعلى خشبة الصليب أزال اللعنة، وفي القبر افتدى الفاسد وفي الجحيم

أباد الموت. وهكذا أفتقد كل مكان وكل حالة لكي يؤسس خلاص الإنسان ويعلن بذلك صورةً جديدةً لطبيعتنا" (فقرة: ٥). والقديس أثناسيوس لا يعرف بالمرة شيئاً عن إخفاء الكلمة لاهوته عن الشيطان وما إليه، حتى عندما يقول: "إن الجحيم لم يكن يستطيع أن يتحمل ظهور اللاهوت غير محجوب في النفس الإنسانية" (فقرة: ١٧)، فهو لا يشير بالمرة إلى القصص الشعبية التي ذاعت في القرون الأربعة الأولى عن اختفاء الابن في الجسد الإنساني والقبض على الشيطان، وإنما يؤكد أثناسيوس أن عدم نزول الكلمة كإله فقط إلى الجحيم، لا يعني سوى عجز الجحيم عن أن يحتمل ظهوره، أمَّا نزول الكلمة إلى الجحيم بواسطة نفسه الإنسانية، فمعناه القضاء على سلطان الموت بالنفس الإنسانية المُتَّحدة بلاهوت الكلمة، وتحرُّر النفوس الإنسانية من سلطان الموت وقدرة الهاوية.

†††

إلهنا الصالح الذي أحبنا حتى تجسَّد لأجل خلاصنا، يعطينا أن نشترك في حياته وموته وقيامته؛ ليكون لنا نصيبٌ في الحياة الأبدية التي وهبنا إياها مجاناً، ومن أجل غنى محبته. وللثالوث القدوس المجد والإكرام إلى الأبد آمين.

رفاع صوم الميلاد: ١٩٨٢

دكتور

جورج حبيب بباوي

تجسُّد ربنا يسوع المسيح

١- أيها الصديق العزيز، إن عادة الأتقياء الثابتة على الدوام، هي الخشوع أمام الخليقة كلها في صمت، وبفرح يصرخون شاكرين ومسبحين الله، صانع الخيرات للكل، وهذا ما قيل في الأسفار وبالذات في الكلمات التي تقول: ''يجلس وحده ويصمت''، وأيضاً: ''في هدوءٍ يهتم بأموره الخاصة'' (مراثي٣: ٢٨). وهذه الكلمات: ''وحده''، و''يهتم بأموره الخاصة''، تعني أن يكون كل شيء بإفراز واهتمام وحسب وصية الله.

عدم الثبات في الإيمان:

لقد بدأت بالأمور الصعبة والشاقة الصادرة عن أُناسٍ يعترفون بنفس الإيمان الذي نعترف به، واهتمامك بأن تعرف خطأ هؤلاء الذين يظّنون أنهم أرثوذكسيون، ولكنهم يتهورون ولا يتورعون عن النطق بأفكار وآراء غير مقدسة، تزعزع غير الثابتين في الإيمان، هؤلاء لا يَعلَمون أنهم هم أنفسهم قد ساروا بعيداً عن الطريق السليم، ولو كان هؤلاء والذين يسمعونهم ثابتين في الإيمان ما خَدَعَتهم الكلماتُ والألفاظ المبهمة التي تُستَخدم. ولكن، لأن عقولهم غير مدربةٍ، صاروا يقبلون بسهولة هذه الأفكار الشائعة التي تولد منها هذه الشرور الكثيرة، والأقوال الخادعة. لقد أُصيب هؤلاء بالتبلُّدِ وبالعمى، حتى أنهم غيَّروا إعلانات الأنبياء، وتعليم الرسل، والكلمات المحدودة القاطعة التي وضعها الآباء، بل وأقوال الرب الواضحة، هي ذاتها قَلَبوا معانيها. وإزاء كل هذا صار تفنيد آرائهم أمراً ضرورياً، حتى يفيقوا ويعرفوا جرمهم، وحتى يفقدوا قدرتهم على خداع الآخرين الذين وعدوهم بشرحٍ واضحٍ ومعقول لسر المسيح، وهم في الحقيقة «لا يفهمون ما يقولونه ولا ما يتمسكون به» (١تي ١: ٧).

تعليم الآباء عن المسيح:

٢– لقد علَّم الآباء أن الابنَ مساوٍ للآب في الجوهر، وأنه ''إلهٌ حق من إلهٍ حق''، أي أنه كاملٌ من كاملٍ، ثم أضافوا مؤكِّدين: ''نزل من السماء لأجل خلاصنا، وتجسَّد وتأنَّس''. وبعدَ ذلك نعترف بأنه ''تألم وقام''. وحتى لا يخطئ أحدٌ إذا سمع أن الكلمة تألم ومات ويعتقد أن الله الكلمة قد تغيَّر جوهره، أكَّد الآباء بكل وضوح، أن الابنَ غير متغيِّرٍ ولا متألمٍ، وحكموا بالقطع من شركة الكنيسة على كل الذين يخالفون هذا التعليم الثابتَ.

ماذا يقول أصحاب هذه البدعة؟

أما هؤلاء الذين نفنِّد آرائهم، فهم يتوهمون أن الكلمة متغيِّرٍ، أو يفترضون أن تدبير الآلام هو غير حقيقي، ولم يحدث؛ لأنهم يُطلقون على جسد المسيح أوصافاً مثل «غير مخلوق» و«سمائي»، وأحياناً يقولون إن الجسد «من ذات جوهر اللاهوت».

ويقولون أيضاً إنه ''في مكان الإنسان الداخلي الذي فينا، كان في المسيح عقلٌ سمائيٌ، لأن المسيح لَبِسَ الإنسان الخارجي فقط. ولَبِسَه اللاهوت مثل ثوبٍ، واستخدمه كأداةٍ فقط، ومن المستحيل أن يكون قد صار إنساناً تاماً مثلنا، فحيث يوجد إنسانٌ تامٍ، توجد أيضاً الخطية. وإنه لا يمكن أن يكون المسيح الإله التام والإنسان التام؛ لأن اتحاد الإنسانية الخاصة بنا، أي الجسد والنفس، باللاهوت، يعني وجود خطيةٌ في المسيح، وبالتالي سوف يحتاج المسيح إلى ذات التجديد الذي نلناه نحن، لو كان إلهاً وإنساناً واتحد في واحد.

ولو أنه إنسانٌ تام، وفيه ''العقل الإنساني'' الذي فينا الذي يوجِّه الجسد ويحرِّكه، فكيف يكون بلا خطية؟'' ويقولون أيضاً: ''لقد أخذ جسداً بلا عقل، وصار اللوغوس نفسه عقلَ ذاك الجسد لكي لا يختبر الخطية، طالما إنه فيه العقل

الإلهي فقط، وطالما أن جسده بلا عقل بشري، فالجسد لا يخطئ، إلَّا إذا صار فيه العنصر الذي يوجِّه الجسد، أي العقل، فهو الذي يدرك ويفكِّر ويعرف الخطية؛ لأن العقلَ يفكِّر، ثم ينفذ الخطية بواسطة الجسد، وبذلك تكتمل الخطية".

وحسب تفكير هؤلاء "صار الخلاصُ بأن يقدِّم لنا المسيحُ نمطَ حياةٍ إنسانيةٍ، مما يجعل الجسد يتجدد. وبالتالي، يتم الخلاص عندما يتشبَّه كلُّ إنسانٍ بالمسيح على نحوٍ معيَّنٍ ويقلدُ الفكر الإنساني، حياةَ المسيح وتجسُّده، فيمتنع عن الخطية".

هذا هو كل ما قالوه، مؤكِّدين كيف أن المسيحَ بلا خطية.

ندعوهم لمعرفة الحق وترك الخطأ:

٣- لكن كل ما قالوه ليس إلَّا سفسطةً فارغةً، وآراءَ عاطلةً يحاولون أن يسندوها بأكثر من برهان. وما أكثر الآراء العاطلة التي تؤدِّي إلى إنكار الإيمان، والتي يخترعها المنطق الإنساني، يا ليت هؤلاء يقيمون وزناً لإرادة الله الصالحة، لأنه مكتوب عن كمال التدبير: "أقسم الرب ولن يندم" (مز١١٠: ٤). وهذا حقٌّ، فالنعمةُ التي تمَّت في التدبير كاملةٌ في كل شيء. وهكذا علينا أن نسألهم عن أهدافهم من السفسطة، هل هي تتفق مع الإعلانات النبوية، وهل تتبع تعاليم الرسل، وتسير على نفس درب ما حدده الآباء، وهل تتعارض مع الإعلانات الصريحة والواضحة للرب؟ فمن الإعلانات النبوية وتعاليم الرسل، ومن الأمور التي أكملها الرب، ربما استطعنا إغراءهم بمعرفة الحق، وبأن يتركوا الخطأ الذي وقعوا فيه.

جسدُ المسيحِ مخلوقٌ، ولاهوته غيرُ مخلوقٍ:

اخبرونا يا مَن اخترعتم إنجيلاً جديداً خاصَّاً بكم، رغم أنه «لا يوجد إنجيلٌ آخر» (غل١: ٧). مِن أي مصدرٍ أخذتم البشارة التي تجعلكم تقولون

إن الجسد «غير مخلوق»؟ ألا يجعلكم هذا تتخيلون أمرين لا ثالث لهما! إمَّا أن لاهوت الكلمة قد تحوَّل إلى جسد، وإمِّا أنكم تعتقدون بأن تدبير الآلام والموت والقيامة خيالٌ لم يحدث. وهذان التصوران، كلاهما خطأ؛ لأن جوهر الثالوث هو وحده غير المخلوق، والأبدي، وغير المتألم وغير المتغيِّر. أمَّا المسيحُ حسب الجسد (رو ٩: ٥)، فقد وُلِدَ من الناس الذين قيل عنهم: «أخوته»، بل تغيَّر بقيامته، فصار بعد قيامته «باكورة الراقدين» (كو ١: ١٨). هذا سَبَقَ فأخبر به الناموس (العهد القديم) قبل أن يحدث. فكيف تسمُّون الناسوت الذي تغيَّر من الموت إلى الحياة «غير مخلوق»؟ وكيف تفترضون العكس، عندما تسمُّون غير المخلوق بالمتغيِّر؟ لأنكم عندما تسمُّون جوهر الكلمة غير المخلوق بالمتغيِّر، فأنتم تجدِّفون على أُلوهية الكلمة. وعندما تَصِفُون الجسد المتغيِّر المكوَّن من عظام ودماء، ونفسٍ إنسانيةٍ، أي كل مكونات أجسادنا، والذي صار ظاهراً ومحسوساً مثل أجسادناً، عندما تصفون كل هذا بأنه ''غير مخلوق''، تسقطون سقوطاً شنيعاً في خطأين: أولهما أنكم تفترضون أن الآلام التي احتملها هي مجرد خيال، وهذا تجديف المانويين، أو أنكم تعتبرون أن اللاهوت له طبيعة ظاهرة محسوسة، رغم أنه جوهرٌ غير مخلوق، وبالتالي فهو غير ظاهر ولا محسوس. وهذا التصوُّر الأخير يضعكم مع الذين يتصوَّرون أن الله كائنٌ في شكل بشري جسداني[1]، فما هو اختلافكم عن هؤلاء، ما دام لكم نفس الاعتقاد؟

٤- أنتم تقولون إن الناسوت ''صار غير مخلوق بسبب اتحاده بالواحد غير المخلوق''، ولكن خطأكم هذا، سوف يظهَر أنه متناقضٌ مع نفسه، بل أن الرد عليه كامنٌ فيما يدعيه.

لقد تم اتحاد الناسوت بلاهوت الله الكلمة في أحشاء القديسة مريم، عندما نزل الكلمة من السماء، أي أن الناسوت لم يكن له وجودٌ قبل نزول الكلمة وتجسُّدِه، بل لم يكن للناسوت أيُّ وجودٍ حتى قبل وجود مريم والدة الإله التي

[1] Anthro-Morphism هي بدعة وهرطقة تقول إن الله مثل الإنسان له جسم ويدان وقدمان ووجه الخ..(سقراط تاريخ الكنيسة ٦: ٧- أثناسيوس مقالة ١: ٦١ ضد الأريوسيين- ثيؤدوريت تاريخ الكنيسة ٤: ١٠).

وُلِدَت من آدم، والتي تؤكِّد سلسلةُ الأنسابِ أنها من إبراهيم ومن داود هي وخطيبها يوسف الذي خطبها، وهما صارا واحداً عندما تكوَّنا وخُلِقا جسداً واحداً (تك٢: ٢٤)، وصارا واحداً ليس بسبب الزواج، فهما لم يجتمعا، وإنما هما جسدٌ واحدٌ؛ لأنهما من واحد، أي آدم، فالثابت أنهما لم يعرفا بعضهما البعض، بل احتفظا بالبتولية[٢]. وهكذا وُلِد المسيحُ في بيت لحم اليهودية، ومن نسل داود؛ لأن يوسف ومريم كلاهما من داود، ولذلك دُعيَ يوسف "أبوه"، والذي وُلِدَ في بيت لحم هو الذي اضَّجع في خِرَقِ المذود، وحمله سمعان على ذراعيه، عندما جيء به إلى الهيكل، بل تم اختتانه في اليوم الثامن في جسده -حسب عادة اليهود- وهو الذي نما في القامة (لو٢: ٢). فإذا قيل إن الناسوت كان "غيرَ مخلوق" بسبب اتحاده بالكلمة غير المخلوق، فكيف نَمَت القامة، ولماذا لم نره إنساناً كاملاً وتاماً منذ الاتحاد، فالذي ينمو ليس إلَّا مخلوقاً، والادعاء بأن الذي ينمو في القامة غير مخلوق، كُفرٌ وتجديف؛ لأننا نعني بغير المخلوق ما هو بالطبيعة الله، حيث لا مجال للنمو أو النقص في طبيعته. أمَّا الذي اشترك أو اتَّحد بغير المخلوق، فهو مُتَّحدٌ باللاهوت، ويُحسَب معه واحداً، ولكنه مخلوق.

رجاءُ الإنسانية في اتحاد المخلوق بغير المخلوق في المسيح:

وعندما نؤكِّد ذلك ،فإنَّا لا نريد أن تفقد الإنسانيةُ الرجاء وتبقى في ضعفها معرَّضةٌ دائماً لليأس، فهي تُبَشَّرُ بأنها لم تعد لها صلة وثيقة بالله، وبذلك تزول النعمة تماماً. وكل مَن يسمع أن جسد الرب غير مخلوق، بينما هو يعلم أن كلَّ إنسانٍ مخلوقٌ، وأن الطبيعة الإنسانية مصنوعةٌ، ألا يُدرك مَن يقول هذا الادعاء بعدم خلق الناسوت، أن الأسفار الإلهية زائفةٌ، وأنه لم تعد له شركة مع المسيح؟[٣].

(٢) يؤكد القديس أثناسيوس وحدة الطبيعة الإنسانية بسبب تناسل الكل من واحد وهو آدم، وهو ما يجعل لنص (تك٢: ٢٤) عدة معاني نراها في كتابات الآباء أهمها المعنى الذي ذكره أثناسيوس هنا. أمَّا عن دوام بتولية العذراء، فهو تسليم عند كل الآباء. راجع أثناسيوس مقالة ٢: ٧٠ ضد الأريوسيين.

(٣) عدم بقاء الطبيعة الإنسانية في حالة الاتحاد معناه -كما يري أثناسيوس- هو زوال كل رجاء للإنسانية، فالرجاء قائمٌ على بقاء الناسوت، أما إذا زال الناسوت، لم تعد للإنسان صلة بالله في المسيح.

وإذا كان غير المخلوق قد أخذ جسداً غير مخلوق، ألا تصير الخليقة الأولى بلا خلاص، لاسيما آدم الأول الذي وُلِدنا نحن منه حتى اليوم بالولادة الجسدانية، ألا يُعَدُّ هذا هلاكاً لنا؟ وكيف جعلنا المسيحُ شركاءً فيه؟ وكيف استطاع الرسول أن يقول: "المقدِّس والمقدَّسين من واحد" (عب٢: ١١)؟

الإنسانية ليست من جوهر الله:

٥- ولكن علينا الانتباه من التهوُّر في التفكير بأننا نصير مثل الكلمة من جوهر الله الآب، فهذا خطأُ المجدِّفين الأريوسيين الذين حاولوا أن يجعلوا الكلام الخاص بالناسوت على أنه خاصٌّ بلاهوت الكلمة، وهذا الخطأُ ظاهرٌ؛ لأن الذي وُصِفَ بأنه أخذ "صورةَ عبد"، أي صار من آدم الأول، قد اتَّحد بصورة العبد وهو الكائن منذ الأزل في "صورةِ الله"، ولا يعني هذا أن صورةَ العبدِ صارت إلهاً. فبشكلٍ عام، يُستَخدَم تعبير "غير المخلوق" لِمَا لم يتكون من العدم، ولم ينشأ مطلقاً. فهل تعتقدون أنتم أن الجسد لم ينشأ، ولم يتكون مطلقاً، وأنه كان مع الكلمة منذ الأزل؟ هل تحاولون استخدام عباراتٍ دقيقة وذات مضمونٍ سليم في غير مكانها، لكي تتستروا تحت عبارة "غيرِ المخلوق"، فلا تعترفون بالتجسد؟ أليس غير المخلوق هو جوهر اللاهوت فقط؟ وإذا وصفتم غير المخلوق بأنه متغيِّر، والمتغير بأنه غير مخلوق، أليس هذا هو الكُفرُ بعينه؟ إذن الادعاء بأنه بواسطة الاتحاد صارت طبيعة الناسوت غير مخلوقة، وصارت مساوية في الجوهر للاهوت، أي لها نفس الصفات، فهذا بدوره كُفرٌ؛ **لأن الرب أختبر الألم وهو في الجسد، وكشف عن لحمه وعظامه، ونفسه الإنسانية التي تألمت وعانت الأحزان والضيقات.**

تجديد طبيعتنا بتدبير تجسده:

ولا يمكن لأحدٍ أن يدَّعي بأن آلام الناسوت هي أمورٌ عادية وطبيعية بالنسبة للَّاهوت ولكنها صارت تنسب للَّاهوت؛ لأن الكلمة سُرَّ أن يولد ميلاداً إنسانياً؛

لكي يعيد خلق الإنسان من جديد في ذاته، صائراً صورةَ ومثال التجديد لكي تشترك فيه صنعةُ يديه التي فسدت بالشَّرِّ والفساد والموت. فأزال مِن على الأرض حُكم الخطية، وعلى خشبة الصليب أزال اللعنة، وفي القبر افتدى الفاسد، وفي الجحيم أباد الموت. وهكذا افتقد كل كان وكل حالة، لكي يؤسِّس خلاصَ الإنسان كله، ويعلن بذلك صورةً جديدةً لطبيعتنا.

فما هي الحاجةُ التي تدعو الله الكلمة بأن يولد من امرأةٍ، وأن ينمو خالقُ كلَّ الدهور في القامةِ، وأن يُحسَب عمره بالسنوات، أو أن يختبر الصليب، والقبر، والجحيم؟ إننا نحن البشر الذين خضعنا لكل هذا، ولكنه اجتاز كل ذلك؛ لأنه يطلب أن يخلصنا، فأعطانا الحياةَ في صورته التي هي مماثلة لصورتنا، ودعانا للاشتراك في صورته الكاملة لكي نتشبَّه به، ولكن كيف يمكن أن نشترك ونتشبَّه بالكامل، إذا لم يكن كائناً قبل كل الدهور، أي الكمال الذي لا يعرف الخطية، والذي دعانا الرسول إلى الاشتراك فيه قائلاً: «اخلعوا الإنسان العتيق والبسوا الإنسان الجديد المخلوق حسب الله في القداسة وبر الحق» (كو ٣: ٩ – أف ٤: ٢٤).

جسدُ المسيح قابلٌ للموت:

٦– كيف أمكنكم أن تتصوروا أن الجسد غير مخلوق؟ وإذا تغيَّرت طبيعة مخلوقة وصارت غير مخلوقة، ألا يعني هذا أنه يجب أن تصبح غير منظورة، بل تصبح أيضاً عديمة الموت، ليس فقط بعد القيامة، بل تصبح غير قابلة للموت بالمرة؟ فإذا صَحَّ تصوركم، فكيف يمكن أن نقول إن الرب مات، مادام قد تغيَّر ناسوته وصار غير مخلوق عندما ظهر على الأرض؟ وكيف إذا تغيَّر الناسوت وصار غير مخلوق، أن يصبح منظوراً، بل كيف أمكن لمسه، حسبما هو مكتوب: "الذي لمسته أيدينا من جهة الحياة" (١ يو ١: ١)؟ كيف تصرِّحون بأمورٍ لم تُكتَب في الأسفار المقدسة؟ بل كيف تفكِّرون في أمورٍ لا يجوز أن نفكِّر فيها؟ إنكم بهذا الشكل تساعدون الهراطقة على الحصول على براهين وأدلة تشبه

التجاديف التي نشرها واحد منهم يدعى رتريوس Rhetrius [٤] الذي لا يتجاسر أحدٌ على أن يفكر في تجاديفه المخيفة.

أمامكم طريقان لا ثالث لهما، إمَّا أن تنكروا الأسفار المقدسة، وإمَّا أن تعترفوا بها، وبالتالي لا تفكروا في التفوُّه بما ليس في الأسفار الإلهية، أي كلماتكم التي خداعها يقتل.

نعبد المسيح الواحد الإله المتجسد:

لقد انحدرتم إلى ما هو أسوأ بقولكم: «نحن لا نعبد غير المخلوق مع الخالق». أيها الناس الذين بلا إدراك لماذا تقولون هذه العبارات، ولماذا تتصورون أن جسد ربنا، رغم أنه مخلوقٌ، تقدَّم له عبادة على انفراد، وأنه يمكن أن تقدَّم هذه العبادة لأي مخلوق آخر؟ لقد اتحد الجسد بالكلمة غير المخلوق وصار معه واحداً، أليس إليه هو الواحد بعينه، نقدِّم له الطلبات والصلوات؟ إننا بكل حق نعبده، لأن الكلمة تجسَّد وصار جسده هو جسد الله الكلمة، ولكننا لا نعبد الناسوت دون اللاهوت أو اللاهوت دون الناسوت، وهذا ظاهرٌ من تصرُّفات الرب نفسه، لأن النساء اقتربن منه، فقال لهن: «لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى الآب» (يو ٢٠: ١٧)، معلناً بذلك أن صعوده أمرٌ حتمي؛ لأنه سيحمل جسده ويقدِّمه للآب، إلَّا أنهن اقتربن وأمسكن بقدميه وسجدن له" (مت ٢٠: ١٧). وعندما أمسكن بقدميه، فقد سجدن له كإلهٍ متجسد، دون فصل اللاهوت عن الناسوت. وفي موضع آخر قال الرب: "جسّوني وانظروا لأن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو ٢٤: ٣٩). ومع أنه بالحقيقة روحٌ؛ لأن "الله روح" (يو ٤: ٢٤)، إلَّا أنه عندما قال إن له لحماً وعظاماً، أراهم لحمه وعظامه. وكيف قال: «الروح ليس له لحم وعظام»، وأضاف: «كما ترون لي»؟ لم يقل إنه هو «لحمٌ وعظام». وقد قال ذلك لكي يعلِّمنا أن طبيعة الروح لا تُلمَس، بينما يُلمَس جسده، مثلما نَلمَس

[٤] أحد هراطقة القرن الثالث. لا نعرف عنه إلا القليل جداً، ويبدو أنه جمع كافة أنواع البدع في قصائد شعرية حسية.

نحن أجسادنا، لأن جسده الذي أخذه من العذراء مثل أجسادنا، لم يخلقه بقوته الذاتية بدون العذراء، بل تكوَّن في أحشاء العذراء، ووُلِدَ ولادةً طبيعيةً، **فقد أراد أن يكون له جسد طبيعي يتَّحد بلاهوته. وهكذا أيضاً تمَّ الموت، ومات الجسد موتاً طبيعياً في الوقت الذي كان الكلمة فيه يمسكه بإرادته لكي يقدِّم جسده بسلطانه الذاتي (يو ١٠: ١٨). فتألم طبيعياً ومات طبيعياً عوضاً عنا، ولكنه قام لأجلنا إلهياً.** وهكذا كل ما عمله منذ البشارة إلى الموت، **إنما كان يهدف إلى هدفٍ واحدٍ، وهو أن يخلصنا ويعيدنا إليه.**

جسد المسيح لم يترل من السماء:

٧- هذا هو التعليم الذي تقبله كنيسة الله الجامعة وتعترف به، أمَّا أنتم، فكيف تخالفون هذا التعليم وتدَّعون بأن الجسد نزل من السماء؟ ولماذا يسمح المسيح بأن يكون له جسد سمائي؟ وما هي غاية نزول جسدٌ سمائيٌ إلى الأرض؟ هل لكي يجعل هذا الجسد السمائي غير المنظور منظوراً، والذي لا يمكن صلبه، يجعله خاضعاً لآلام الصلب والذي لا يمكن أن يتغيَّر قابلاً للتغيير والموت؟ يا أيها الناس الذين بلا فهم، ما هي الفائدة الحقيقية لكل هذا؟!! **وإذا نزل جسدُ المسيح من السماء، فكيف يفيد هذا آدم الأول؟ إنه لن ينتفع بشيء، فإذا لم يأخذ المسيحُ «شبه جسد الخطية» لكي «يدين الخطية في الجسد»** (رو ٨: ٣)، **لن نتجدد مطلقاً. ولكنه أكمل تجديدنا الذي لا يمكن مقارنته بشيء، ولا حتى بالطبيعة التي سقطت في آدم الأول**[٥]. من أجل ذلك عاش بجسدٍ مثل جسدنا على الأرض، وأعلن أن جسده غير قابل للخطية، ومع أن الجسد الذي أخذه آدم في حالة عدم الخطية في حالة خلقه الأول، وصار بالسقوط قابلاً للخطية، فسقط في الفساد والموت. هذا الجسد أقامه إلى حالة وطبيعة عدم الخطية، لكي يعلِن لنا أن الخالق ليس هو سبب الخطية[٦]. **ويثبِّت الطبيعة الإنسانية ويجعلها حسب النموذج الأصلي والأول الذي**

---

(٥) يؤكد أثناسيوس أن الطبيعة الإنسانية نالت في المسيح ما لم تأخذه في الخلق الأول.

(٦) هذا هو تعليم ماني والمدارس الغنوسية.

خُلِقت عليه[٧]. ولذلك تجسَّد وعاش في عدم الخطية.

هراءٌ إذن خيالات أولئك الذين ضلوا، وقالوا إن جسد ربنا نزل من السماء. بل بالحري **إن ما سقط من الحالة السمائية إلى الحالة الأرضية، هذا بذاته ما رَفَعَه المسيح من الأرض إلى السماء، وما أسقطه آدم في الفساد ودينونة الموت، رغم أنه أصلاً بلا خطية وغير محكوم عليه بشيء، هذا أظهره المسيح بلا فساد، بل صار يخلص من الموت.** وأعلن عن ذلك، فأظهر سلطانه وهو على الأرض بأن يغفر الخطايا (مت ٩: ٦)، وأعلن عدم فساده بقيامته من القبر، وبافتقاده الجحيم الذي نزل إليه لكي يدوس الموت ويبيده، ويبشِّر الكل بالبشارة المفرحة بالقيامة؛ لأن الله ''خلق الإنسان خالداً وخلقه على صورة أزليته، ولكن بواسطة حسد الشيطان، دخل الموت إلى العالم'' (حكمة ٢: ٢٣، ٢٤). هذا الجسد الذي مَلَكَ عليه الموت للفساد، لم يحتقره، وإنما قبله واتخذه لذاته دون أن يتغيَّر لاهوته إلى الشكل والصورة الإنسانية. **إنه لم يحتقر الوجود الإنساني ولم يهمله، فأخذ خيالاً إنسانياً بدلاً من الجسد الإنساني، إنما هو بذاته الإله وُلِدَ كإنسان، لكي يصبح الله والإنسان واحداً، كاملاً في كل شيء، فوُلِد ميلاداً حقيقياً وطبيعياً**. وهذا هو السبب في القول إن الآب «أعطاه اسماً فوق كل اسم» (في ٢: ٩). لكي يملك على السموات، ولكي يكون له السلطان لكي يدين (يو ٥: ٢٧).

آدم الأول وآدم الثاني:

٨– لقد صار الكلمة الذي صنع السماء والأرض ''ابن الإنسان''، ليس بالتغيير، وإنما صار آدم الثاني، ولكي ندرك الحق الذي يحويه هذا الاسم بالذات، شَرَحَ الرسول أن آدم القديم أو الأول كان نفسانياً، وبعد ذلك جاء آدم الثاني الروحاني (١كو١٥: ٤٦). وعندما أكَّد أن آدم الأول نفساني والثاني روحاني، لم يكن يقصد من ذلك وجود جسدين مختلفين، وإنما جسد واحد للاثنين، ولكن

---

[٧] صورة الله (تك١: ٢٦).

الأول تحت سلطان وطبيعة الروح؛ ولذلك دعي روحانياً، لأن كلمة الله هو روح (يو ٤: ٢٤). ويمكننا أن نفهم ذلك من تأمل ما قيل عنّا نحن في هذه الكلمات «الإنسان الروحاني يفحص كل شيء، وإن الإنسان النفساني[٨] لا يأخذ شيئاً من الروح" (١كو ٢: ١٤). ورغم أن طبيعة جسد الإنسان النفساني والإنسان الروحاني هي طبيعة واحدة، إلَّا أن الذي يشترك في الروح القدس، يصبح الروحاني، أمَّا الذي يكتفي بقوة النفس وحدها، فيظل النفساني. وما دام التعليم الصحيح الحق عندنا، صار من اللازم أن نسأل لماذا لم يُدعَ المسيحُ "إنساناً" فقط، وهو اسمٌ يمكن للبعض أن يتخيل أنه شخصٌ قادمٌ إلينا من السماء، وسكن بيننا، وإنما دُعيَ -وهذا حق- "ابن الإنسان"؛ لأنه صار ابن الإنسان بميلاده من العذراء، صار ابن آدم الأول، ولا يوجد غير آدم الأول عاش على الأرض، كما لا يوجد آدم آخر جاء من السماء. وكل مَن يولد من آدم هو ابنُ إنسان، ولم يحصل على جسد سمائي من السماء، هذا ما تؤكده الأناجيل؛ لأن متى يسجِّل في سلسلة الأنساب أنه ابن ابراهيم وابن داود حسب الجسد، أما لوقا فقد حَسَبَه في سلسلة الأنساب كابن آدم وابن الله.

لنتمسك بتعليم الإنجيل:

وما دمنا تلاميذ الإنجيل، فلا يجب أن نتكلم بما هو ضد الإنجيل أو بالكذب ضد الله، إنما بما جاء في الأسفار الإلهية، ونتمسك بما فيها من حقائق. فلماذا تحاربوننا نحن الذين لا نقبل أن نسمع شيئاً أو نقول شيئاً ضد ما جاء في الأسفار، بل نتمسك بما قاله الرب: «إذا ثبتُّم في كلمتي تصيرون حقاً أحراراً» (يو ٨: ٣١، ٣٢).

---

(٨) وتترجم أحياناً "الطبيعي" والكلمة اليونانية ψυχιός أصلها من ψυχήأي نفس وتعني الحياة الطبيعية العادية.

الشرح السليم للتجسد:

٩- كيف لنا أن نحسبكم مؤمنين أو مسيحيين، وأنتم لا تتمسكون بكلمات الأسفار، ولا تؤمنون بما تعلنه من حقائق، بل تغامرون بالكلام عما هو فوق الإدراك وتحددونه حسب أهوائكم. وإن كان من السهل عليكم أن تحاربوا إنساناً، فكيف يمكنكم أن تحاربوا الله.(أش ٧: ١٣). واذا كان الذين لم يصدِّقوا الأنبياء قد أُدينوا، فكم الحري تكون دينونة الذين لا يصدِّقون الرب نفسه؟ كيف تتجاسرون على التفكير والنطق بأمورٍ مختلفة وأفكارٍ غريبة عن تلك التي أعلنها وسُرَّ بها الرب نفسه، والتي بها أباد الخطية والموت؟ إذاً اعترفنا به، اعترف هو بنا، وإذا انكرناه، فهو سيُنكرنا، إذا لم نكن أمناء، فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه (٢تي ٢: ١٢ مع مت ١٠: ٣٢). فما معنى تهوُّركم فيما هو ضد العقيدة؟ لماذا تحاولون أن تجعلوا الجسد من ذات جوهر اللاهوت؟ ألا تدركون أن هذا كُفرٌ مزدوج؟ فإنكم بهذا تسقطون في هذا الإثم المزدوج، وهو إمَّا أن تنكروا التجسد، أو تجدِّفوا على جوهر الله. وهكذا حسب كلماتكم التي تقولونها: "نحن نعترف بأن الذي وُلِد من العذراء مريم هو مساوٍ للآب في الجوهر". لكن هذه العبارة التي تعتبرونها دليلاً على صحة الإيمان والاحترام، سوف نشرحها لكي يظهر لكم أنكم لا تفهمون معناها، بل صار معناها حماقة بالنسبة لاستعمالكم.

إن جميع المؤمنين يعترفون بأن الله الكلمة الذي وُلِدَ وعاش بالجسد بيننا، قد وُلِدَ كإنسانٍ من العذراء القديسة مريم، وأنه مساوٍ للآب في الجوهر، وأنه تجسَّد وصار من نسل إبراهيم، وبذلك صار ابناً لإبراهيم. فالكلمة الذي من الله، والذي هو مساوٍ للآب في الجوهر، صار ابناً لإبراهيم حسب الجسد. وهذا ما يعترف به الأنبياء والرسل والإنجيليون، فالمسيح حسب سلسلة الأنساب وحسب الجسد، هومن نسل داود. فكيف لا تخجلون من الادعاء بأن الجسد الذي سُجِّل في سلسلة الأنساب من نسل داود، يصبح مساوياً لجوهر الكلمة؟ ألستم كما ذكرت تستعملون هذه العبارة بلا مضمون، بل وبحماقة أيضاً، لأنكم لا تعتبرون أن الذي

يتساوى جوهره مع جوهر آخر، له ذات الطبيعة والصفات والكمال. **وهذا ما يجعلنا نعترف بأن الابن مساوٍ للآب في الجوهر، أي أنه كامل مثل الآب في كل شيء**[٩] **وكذلك الروح القدس؛ لأن الثالوث له جوهر واحد**، فكيف يمكنكم أن تنسبوا صفات وكمال اللاهوت إلى الجسد مُدَّعين أنه مساوٍ للكلمة في الجوهر، وبذلك يضاف إلى كمال الكلمة، كمالاً آخر هو الناسوت، وحسب خيالكم، لا يعود الله ثالوثاً، بل يصبح رابوعاً، وهذا إيمان آخر غير الإيمان الذي نبشِّر به. وهل بعد هذا يمكن أن يضاف شيء آخر إلى هذا الكفر؟

١٠- تقولون إن الجسدَ صار مساوياً في الجوهر للكلمة. أخبروني كيف حدث ذلك؟ تقولون: "لقد صار الجسدُ الكلمةَ، بل صار أيضاً روحاً". ولكن، إذا كان الجسد ليس بالطبيعة لاهوتاً، ولا هو من جوهر اللاهوت، فكيف يمكن أن يتحول إلى لاهوت؟ وإذا قلتم إنه تحوَّل، فبأي وجه تختلفون عن الأريوسيين الذين قالوا نفس الكلام عن الكلمة؟ ثم ألا تقول الأسفار عكس ذلك؟ **لأنها تقول: «الكلمة صار جسداً»، وليس «الجسد صار الكلمة». وتقول الأسفار ذلك؛ لأن «صار»، تخصُّ الجسدَ، وفعلاً «صار» الجسدُ خاصاً بالكلمة، وليس خاصاً بإنسان. فالله تأنَّس، ولذلك قيل إنه «صار جسداً»؛ حتى لا يخطئ أحدٌ في فِهم حقيقة التجسد، ويغفَل اسم «الجسد»**. فإذا كنتم غير مستعدين لقبول هذا الاتحاد الطبيعي بين الكلمة والجسد الذي صار خاصاً به وفيه حلَّ، وإذا كنتم لا تقبلون الاعتراف الصريح بأن الله تأنَّس، فلم يعد أمامكم إلَّا أمرين: إمَّا أنكم لا تؤمنون بما تسمعون، وهو ما نسبِّح الله عليه كَسِرٍّ فائقِ الإدراك، وإمَّا أنكم لا تريدون عطية الدهر الآتي؛ لأن ناسوت الله الكلمة هو الذي قيل عنه في كلمات الرسول: "الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (في ٢٥: ٣١). وهو يعني بذلك ابن الله الذي صار ابنَ الإنسان، وصار بذلك ديَّانَ الأحياء والأموات والملك والإله الحق.

---

(٩) كلمة *Homoousion* يمكن ترجمتها إلى "من ذات الجوهر" أو "مساو في الجوهر" والمساواة في الجوهر تعني أن الابن له ذات صفات الآب، وهكذا شرحها أثناسيوس نفسه في المقالة المشهورة عن المجامع De Synod:45.

أنتم تريدون حذف كلمة "جسد"، أو أي إشارة إلى كلمة "إنسان"، وتمنعون استخدامها للمسيح. فكيف يمكن لكم أن تستمروا في قراءة الأسفار الإلهية، خصوصاً ما يكتبه متى: "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود، ابن ابراهيم" (مت ١: ١١). وما كتبه يوحنا: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله" (يو ١: ١). فكيف تفهمون هذه الكلمات الواضحة: «الكلمة»، و«ابن داود»، هل هي كلمات منفصلة ليس لها علاقة بذات الشخص؟ **لو أنكم تتعلمون من الأسفار الإلهية لَعرِفتم أن الكلمة الله، صار ابن الإنسان، ولَعرِفتم أن المسيحَ واحدٌ، وهو نفسه[١٠] الله والإنسان. وهكذا البشارة قائمة على دعامتين: أُلوهية الكلمة، وتجسُّده.** وهذا ما يشرح ويفسر لنا الآلام، وأيضاً عدم تألم الكلمة. ونرى ذلك في كلام الرسول بولس: «الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فديةً لأجل الجميع»، و«الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد» (١تي ٢: ٥، ٦ — رو ٩: ٥). وكتب إلى تيموثاؤس يقول أيضاً: "اذكر يسوع المسيح الذي من نسل داود، والذي قام من بين الأموات". ونفس الرسول يقول: "ونبشِّر بموته إلى أن يجئ" (٢تي ٢: ٨ - ١كو ١١: ٢٦).

١١– إن تعبير "المساوي في الجوهر" هو تعبيرٌ قويٌّ، يا ليتكم لا تحاولون إفساد قوته بحذف الإشارة إلى "الجسد"، أو "الإنسان"، وتمنعون استخدام هذه الكلمات الهامة في الكلام عن المسيح. فأنتم بذلك تُقدِمون على أمرين: إمّا أنكم تمنعون أن تبشِّروا بموته إلى أن يجيء، وبهذا تُبطِلون ما تبشِّر به الأسفار، أو أنكم تبشِّرون بموت "المساوي" للآب والروح القدس في الجوهر، دون أن تعترفوا بأن المسيح "تألم في الجسد" (١بط ٤: ١)، وبهذا تجعلون اللاهوت هو الذي تألم. وإذا تألم لاهوت الكلمة[١١]، فقد تألم معه الآب والروح، بل لقد مات الآب

[١٠] من التعبيرات الدقيقة الهامة التي تؤكد الاتحاد الكامل بين الكلمة والجسد تعبير "هو نفسه، أو هو بذاته" ويعود هذا التعبير إلى أثناسيوس نفسه (إلى الإنطاكيين: ٧– مقالة ٤: ٣٦ ضد الأريوسيين)، وقد استخدم القديس كيرلس السكندري هذا التعبير الدقيق بوفرة. وهكذا، إذا قلنا إن المسيح إله وإنسان، نؤكد –إن شئنا الدقة– الاتحاد بقولنا هو نفسه.

[١١] بسبب وحدة الجوهر للثالوث، فأي أمرٍ يُنسب لأي أقنوم معناه اشتراك الأقنومين الآخرين.

والروح القدس أيضاً. وهذا يجعلكم أكثر كُفراً من جميع الهراطقة. أمَّا عن الموت، فقد كان موت جسد ذاك ''المساوي في الجوهر''، وليس موت اللاهوت، كما أن الآب والروح القدس لم يتجسدا حسب التعليم الفاسد الذي يتمسك به أتباع فالنتينوس، وإنما التعليم الصحيح هو أن ''الكلمة صار جسداً''.

المسيحُ إلهٌ وإنسانٌ، دون أن ينقسم إلى اثنين:

وأيضاً، عندما نعترف بأن المسيح هو إلهٌ وإنسانٌ، لا نقول هذا بقصد تقسيمه إلى اثنين، حاشا لله، وإنما العكس، نحن نؤكِّد بتمام ما تعلنه الأسفار؛ لأن آلامه وموته التي حدثت هي التي «نبشِّر بها إلى أن يجئ». ونحن نعترف بأن موته وقيامته قد حدثا في جسد الكلمة، وفي نفس الوقت نؤمن بأن الكلمة نفسه غير متألم ولا متحول. وإنما هو الذي تألم دون أن يتألم؛ لأنه غير المتغيِّر وغير المتألم كإلهٍ، ولكن «تألم في الجسد» (١بط ٤: ١)، وأراد أن يذوق الموت؛ لأنه صار «وسيطاً بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذي قدَّم ذاته فدية عن كثيرين» (١تي ٢: ٥، ٦). وأيضاً لأنه صار وسيطاً بين الله والإنسان: «والآن الوسيط لا يكون وسيطاً لواحد ولكن الله واحد»[١٢] (غل ٣: ٢٠).

١٢– ومما سبق يظهر لنا خطأ كل الذين يقولون إن الابن الذي تألم هو آخر غير الابن الذي لم يتألم. إلَّا أنه لا يوجد ابنٌ آخر غير الابن الواحد، وهو بذاته الكلمة الذي عَبَرَ الآلام والموت. فهو غير المتغيِّر وغير المتجسد. الكلمة بذاته، قبل أن يولد في الجسد الإنساني أراد أن يكمل كل الأشياء وأراد أن يكون له ذبيحة يقدِّمها (عب ١: ٤). **فالذي قيل عنه إنه صار أعظم من الملائكة، ليس الكلمة الذي خلق الملائكة، لئلا يظن أحدٌ أنه عندما خَلَقَ الملائكةَ، كان أقلُّ من الملائكة، وإنما الذي «صار» هو «صورة الجسد» التي أخذها الكلمة، وجعلها صورته عندما**

---

[١٢] يقوم الوسيط عادةً بالوساطة بين طرفين، ولكن لأن الذي قام بالوساطة هو الله الذي هو في نفس الوقت إنسانٌ أيضاً، وبسبب وحدة الثالوث، لا يمكن أن نعتبر الابن الإله الذي من ذات جوهر الآب هو وسيط لدى طرف ثان هو الله.

وُلِدَ ميلاداً طبيعياً من العذراء. هذه الصورة هي التي رفعها إلى مرتبةٍ أعظم من رتبة الميلاد البشري الآدمي الذي يخصُّ آدم الأول؛ لأنه أتى بهذه الصورة إلى علاقةٍ فائقةٍ ووثيقةٍ، حتى إننا –بسبب ذلك– قيل عنّا نحن: «مواطنون مع كل القديسين وأعضاء في بيت الله» (أف ٢: ١٩).

معنى الكلمة صار جسداً:

بذلك صار الجسد هو الجسد الإله، ليس كمساوٍ له في الجوهر، لأنه ليس أزلياً مع الكلمة، وإنما «صار» معه بالطبيعة جسده، دونَ أن ينفصل عن اللاهوت بسبب قوة الاتحاد، وظل جسداً من نسل داود وابراهيم وآدم الذين تناسلنا منهم جميعاً. ولو كان الجسدُ مساوياً لجوهر الكلمة وأزلياً معه؛ لصار من المحتَّم عليكم أن تتقدموا خطوةً أخرى على طريق ضلالكم وتتفق مع منطقكم، وهي: أنَ تصبح كل الخلائق مساوية في الجوهر لله خالق كل الأشياء. وإزاء هذا، كيف يمكنكم أن تظلوا مسيحيين، إذا سقطتم هذه السقطة الشنيعة، ورُبِطتم بسلاسل هذا الضلال؟.

إن المساوي في الجوهر له في الحقيقة ذات صفات الجوهر، أي أنه غير متغيِّر وغير قابل للموت، وهنا لا يجوز الكلام عن الاتحاد، مادام الناسوت مساوياً في الجوهر لأقنوم الكلمة، بل لا يبقى مجالٌ للاتحاد الأقنومي، حيث لا يصح الكلام عن اتحاد اثنين متساويين في الجوهر؛ لأن اتحادهما هو في الواقع وحدة طبيعية. وإذا وصلتم إلى هذه النتيجة، فأنتم تقولون بوجود أقنومين في الابن[١٣]. وهكذا اخترعتم ما تخيَّلتم أنه مقدس ونافع، ولكنه قادكم إلى احتمالين: إمَّا أنكم ستضطرون إلى إنكار الجسد المولود من العذراء والدة الإله، وإمَّا أنكم ستجدِّفون على الله؛ لأن وحدة جوهر الآب والابن والروح القدس، تجعل أي كلام عن

---

[١٣] هنا يصل أثناسيوس إلى أحد أعماق التعليم السكندري الذي يؤكد أن الأشياء والأشخاص التي لها طبيعة واحدة تجعل تعدد الاقانيم هو اشتراك في هذه الطبيعة. وإذا كان جسد المسيح مساوياً في الجوهر لأقنوم الكلمة، أصبح الكلام عن الاتحاد باطلاً، كما يبطل الكلام عن الجسد، ويصبح في الابن أقنومان لهما ذات الصفات، أحدهما من الآب، والآخر من العذراء.

آلام الجسد المساوي للثالوث في الجوهر هو اعترافٌ بأن الثالوث تألم، وبذلك أضفتم رابعاً إلى الثالوث. فأي نقدٍ يمكنكم أن توجِّهوه بعد ذلك إلى الهراطقة، وما هو اللوم الذي يمكن أن توجِّهوه لنا نحن الذين نؤمن بالثالوث. هكذا رغماً عنكم، قادكم المنطق السقيم، وأصبحتم تؤمنون برابع مع الثالوث، عندما جعلتم الجسد مساوياً للكلمة في الجوهر. وهكذا أيضاً صار إيمانكم باطلاً؛ لأنكم صرتم تفكرون مثل الأريوسيين، وسقطتم في ضلالهم، ولم تفهموا معنى الكلمات: ''الكلمة صار جسداً''.

والآن علينا أن نشرح ما هو معنى الكلمات: ''الكلمة صار جسداً''، إنه لا يعني أن الكلمة لم يعد الكلمة، وإنما يعني أن الكلمة هو دائماً الكلمة، حتى عندما اتخذ لذاته جسداً، وفيه قَبِلَ الآلام والموت، أي في الصورة البشرية، وبها ذهب إلى أبعد الأماكن، أي القبر والجحيم، وبذلك صار الكلمة الإله سبباً لقيامة الأموات، وأعلن بذلك أن له لحماً وعظاماً ونفساً، بإعلان جسده الذي لم ينفصل عنه، والذي أخذه كما هو مكتوب: ''من نسل داود''. فإذا لم تؤمنوا بذلك، فأيُّ فرقٍ بينكم وبين مرقيان؟ ألم يقل مرقيان بأن جسد الكلمة ظهر ونزل من السماء في شكل إنساني، وإنه لم يكن جسداً حقيقياً؟ وماذا قال ماني؟ ألم يقل إن الجسد لم يكن جسداً بشرياً، بل له صورة إلهية، وإن ملامحه كانت فقط إنسانية، ولكنه لم يكن جسداً بشرياً، بل غريباً عم الطبيعة الإنسانية تماماً؟ **لقد اخترع هؤلاء كلَّ هذه التصورات؛ لأنهم يعتقدون أن مصدر الخطية هو الجسد، وليس الانحراف الذي أصاب الإرادة**. لقد أنحدر هؤلاء إلى هذا الكُفر، فهل انحدرتم أنتم أيضاً إلى هذا الدرك الأسفل؟

١٣- إن التقوى الحقيقية تمنع من المغامرة والخوض في هذه الاختراعات، بل هي بذاتها تجعل كل تقي يعترف باستقامة (أرثوذكسية) بأن الكلمة الكائن قبل كل الدهور، والمساوي للآب في الجوهر، جاء في الأيام الأخيرة وتجسَّد من والدة الإله العذراء مريم، لكي يجدد ما خلق وصوَّر في آدم الأول، أي الطبيعة

التي فينا، والتي جعلها له بالاتحاد. وهكذا، الإله الكائن قبل كل الدهور، ظهر كإنسان ودُعيَ المسيح. هذا وحده يجعلنا نحن ''أعضاء المسيح''، وكما هو مكتوب: ''نحن من لحمه ومن عظامه'' (أف ٥: ٣٠). فما معنى كل الاختراعات والخيالات السابقة؟ هل أنتم تستعملون الحكمة محاولين الوصول إلى صياغاتٍ لأمورٍ تقع خارج مجال قدرات الفكر الإنساني؟ ما معنى كلامكم: «**بدلاً من الإنسانِ الداخلي الذي ينتمي إلينا، وُجِدَ في المسيح عقلٌ سمائيٌ**». يا للفكر الدنس!! وما أضعف هذه الكلمات الفارغة من المضمون والصادرة عن بشر لا يفهمون أساسات الإيمان.

اسم ''المسيح'' يعني اللاهوت والناسوت معاً:

فالحقيقة الأولى من هذه الأساسات هي أن نعرف أن نعبِّر عن المسيح بأكثر من أسلوب، إذ لا يوجد أسلوب واحد فقط، بل أن اسم «المسيح» يعلن حقيقتين: اللاهوت والناسوت. **وهكذا يُدعى المسيحُ «إنساناً»، وهو ذاته يدعى الله، وأحياناً يسمى الإله المتأنس**، ورغم كل هذه الكلمات المختلفة، هو المسيح الواحد. باطلةٌ إذن هذه السفسطة التي تقودكم إلى شيءٍ آخر غير المسيح. وحتى الذين دُعُوا ''مسحاء''، فإن المعنى الكامل للاسم لا يخصهم، وإنما معناه الجزئي فقط؛ لأن هؤلاء لا يمكن أن نَصِفَهم أو أن نعتقد أنهم مثل المسيح الحق، والمتهورون فقط هم الذين يتجاسرون على أن يُخضِعوا المسيحَ للمنطق الإنساني المحدود القائم على التحليل والدراسة. إن ما ذكرتموه وأخبرتمونا به لم يُخبر به نبي ولا رسول ولا إنجيلي من الإنجيليين. هذه أمورٌ يجب أن يخجل المرءُ من التفكير فيها، فهل صرتم تخجلون من التفكير فيها؟

لو كان المسيحُ آخراً غير ''العقل السمائي'' الذي جاء وسكن فيه، و''العقل السمائي'' كامل، فحسب كلامكم أنتم، يصبح في المسيح اثنان كاملان، وبذلك

تعتقدون بما تحاولون هدمه[١٤]. أمَّا العقل السمائي، فإن الأنبياء نالوه؛ لأنهم تكلَّموا عن أمورٍ سمائيةٍ، وأمورٍ مستقبليةٍ، كأنها حاضرة أمامهم. **ولماذا تفترضون أنتم أن «الإنسانَ الداخلي» غير موجودٍ في المسيح؟ وماذا تقولون عن النفس الإنسانية؟** أليست النفس هي حياة الجسد مثل الدم بالنسبة للحم؟ فهل ستقولون بالعكس، بأن النفس والجسد هما «الإنسان الخارجي»؟ وما دمنا نلمس اللحم والعظام، فهل سنلمس النفس أيضاً ما دامت قد صارت منظورةً، وبالتالي يصبح من الممكن ذبحها وقتلها، مع أن ربنا قال إن النفس لا يمكن أن تُقتل (مت ١٠: ٢٨)، فعليكم أن تعتقدوا بأن النفس هي الإنسان الداخلي، حسبما نرى في الخلق الأول، ومِن تأمل الانحلال الذي حدث بعد السقوط. هذا نراه، ليس فقط من تأمل موتنا نحن، وإنما نراه أيضاً في موت المسيح نفسه عندما وُضِعَ الجسد في القبر، وذهبت النفس إلى الجحيم. وما أعظم الفرق بين الجحيم والقبر، فقد رقد الجسد المحسوس في القبر، أما هو فقد كان غيرَ محسوسٍ في الجحيم.

---

[١٤] خلاصة هرطقة أبوليناريوس هي أن جسد المسيح نزل من السماء، وأن اللوغوس حلَّ محل العقل الإنساني؛ لأن العقل عند أبوليناريوس وفلاسفة اليونان هو القوة العاقلة والإدراك للنفس الإنسانية. أراد أبوليناريوس أن يحفظ للمسيح قداسة خاصة، فحذف النفس الإنسانية، وبالتالي حذف العقل الإنساني، وهو قوة الإدراك والفهم لدى جميع البشر. وتطور فكره بعد ذلك؛ لأن الجسد الإنساني الذي نزل من السماء -حسب ادعاء أبوليناريوس- **احتوى على عقل سمائي، وليس لدينا تفاصيل عن العقل السمائي هذا، ولكن منطق الهراطقة واضح: جسد سمائي وعقل سمائي يُضاف إلى العقل الإلهي** اللوغوس ... **هذه الخيالات تؤدي إلى إنكار تجسد الرب وإنكار حقيقة أنه شاركنا اللحم والدم والنفس والإرادة وكل قوى الحياة الإنسانية. ولعل عبارة القديس** غريغوريوس التريتزي المشهورة تعطي لنا صورة كاملة عن خطورة الهرطقة، وقد نقلت هذه العبارة بشكل موجز على هذا النحو: ”ما لم يتحد به لم يُفتدى“ (الرسالة إلى كلوديوس، رسالة ١٠١). ”مَن يضع ثقته فيه (المسيح) كإنسان لا عقل إنساني له، هذا الشخص لا عقل له، ولا يستحق الخلاص؛ لأن ما لم يأخذه لم ينل الشفاء، لكن الذي اتحد بألوهيته قد خَلُص. لو كان نصف آدم هو الذي سقط، فإن ما أخذه المسيح هو نصف ما خَلُص، ولكن إن كانت طبيعته (آدم) قد سقطت، فإنها يجب أن تتحد بكل طبيعة الذي وُلِدَ لكي تخلص (الطبيعة) كلها». وعلى ذلك، فإن إنكار وجود عقل إنساني، معناه عدم كمال الإنسانية، وإنكار العقل الإنساني مصدره الاساسي الخوف من الخطية باعتبار أن العقل هو الذي يحرك الجسد؛ ولذلك افترض الهراطقة أن المسيح حلَّ أو سكن فيه عقلٌ سمائيٌ، حتى لا يفكر مثلنا كبشر. وهنا يعتمد أثناسيوس على منهج الآباء، وهو إبراز تناقض الهراطقة مع أنفسهم، فهم لا يريدون الاعتراف بوجود كاملين معاً في اتحاد كامل؛ لأن الاتحاد بين اثنين كاملين غير منطقي، وبالتالي عندما يفترض هؤلاء أن المسيحَ حلَّ فيه عقلٌ سمائي غير عقله الإلهي، فهذا يعني أن له عقلين كاملين، وهو ما حاول الهراطقة إنكاره.

عمل نفس المسيح الإنسانية في الجحيم:

١٤– فكيف حُسِبَ الرب في عداد الموتى وهو في الجحيم؟ إنه لم يذهب إلى الجحيم بجسده، **بل ذهب إلى الجحيم؛ لكي يبشِّر النفوس التي كانت في سلاسل العبودية، وذهب وبشَّرَ** بصورة إنسانيته[١٥] **التي لم تخضع لسلطان الموت، بل غلبت الموت ودحرته. وهكذا كان حاضراً مع الموتى لكي يصوِّر أساس القيامة، ويحطم السلاسل التي كانت تربط النفوس الأسيرة في الجحيم. وهكذا أعلن أنه خالق الإنسان ومصوِّره، والذي حكم على الإنسان بالموت، جاء، وبحضوره في الصورة الإنسانية، وبإرادته وحده، حَرَّرَ الإنسانَ من حكم الموت، لأن الموت لم يستطع أن يقوى على نفس المسيح الإنسانية التي اتحدت باللوغوس، بل عجز الموت عن أن يستعبدها، ولا استطاع الفساد أن يذلها أو يأسرها. ومع أن الموتَ فَصَلَ النفسَ عن الجسد، إلَّا أن الفساد لن يتجاسر على أن يقترب من أيهما؛ لأن كل الذي حدث، إنما كان تحت السيطرة الإلهية وعنايتها. وأي فكر آخر يخالف ذلك هو ضلال.**

إدراك الجسد والنفس من السقوط والعقوبة:

أمَّا مَن يتأمل التعدِّي الأول والعقوبة التي نُفِّذَت، وهي عقوبة مزدوجة، فسوف يدرك معنى ما نقول. فقد قيل للعنصر الأرضي: «ترابٌ أنت وإلى التراب تعود» (تك ٣: ١٠). وبعد أن صدر حكم الرب بدأ الفسادُ يدبُّ في الجسد. أمَّا عن النفس، فقد قيل لها: «موتاً تموت» (تك ٢: ٨). وتم بهذا تقسيم الإنسان إلى قسمين، وحُكِمَ عليه بأن يعاني في مكانين: القبر والجحيم. وبعد أن أصدر القاضي حكمه، كان هو وحده القادر على أن يلغي حكمه بنفسه، فظَهَرَ في صورةِ مَن يُحكَمُ عليه (آدم)، دون أن تكون هذه الصورة تحت حكم الدينونة،

---

(١٥) صورة أو μορφή تعني الصفات والمميزات والخصائص التي تكوِّن الكائن. ولذلك قيل إن المسيح كان في صورة الله، أي له ذات صفات وخصائص الله، ولكنه أخذ صورة العبد، أي أخذ الحياة الإنسانية الكاملة (في ٢: ٥ – ٦). وبالاتحاد بين اللاهوت والناسوت صارت الصورة الإنسانية في المسيح غير قابلة للموت، وهو ما جعل بشارة المسيح في الجحيم أساسية لكي يترل إلى مجال الموت بنفسه الإنسانية، وهناك يصوِّر أو يخلق القيامة ويُطلق سراح الأسرى من البشر.

بل بلا خطية، **وبذلك صالح الله والإنسان، الإنسان كله جسداً ونفساً، وتمَّت حرية الإنسان بواسطة إنسان، وبتجديد صورة ابنه يسوع المسيح ربنا.**

المسيحُ أخذ إنسانيةً كاملةً بما فيها العقل الإنساني:

فهل تفهمون أن العقوبةَ قسَّمت الإنسانَ إلى ثلاثة أجزاء، وكان حكماً بأن يذهب إلى ثلاثة أماكن؟ لقد افتقد الربُّ القَبرَ والجحيم، فما هو المكان الثالث الذي ذهب إليه، وما هو العنصر الثالث الذي كان تحت عبودية الموت(١٦)؟ فإذا لم يكن في إمكانكم أن تخبروا عن مكان ثالث؛ لأنه لا يوجد سوى القبر والجحيم، وهما اللذان تحرَّر منهما الإنسان، لأن المسيح نزل إليهما بصورةٍ حقيقيةٍ تُشبِه صورتنا، ولكنها كاملة. فإذا تمَّ هذا بواسطة المسيح، فكيف يمكنكم أن تقولوا بعد ذلك إن الله لم يصالح الإنسان كله (جسداً ونفساً)؟ وكيف تجسَّد المخلص وحلَّ بيننا؟ هل أخذ جزءاً من الإنسان، أي الجسد فقط؟ وهل هذا يعني أنه كان عاجزاً عن أن يخلِّص النفسَ، أي يخلِّص الإنسان كله؟ هل اشمأز من العقل الإنساني لأنه أخطأ، أم أنه كان يخاف أن يخطئ هو أيضاً؟ وكيف يخاف وهو الإله الذي إذ تجسَّد وصار إنساناً، استمر في صلاحه وكماله. إن الذين يفكرون بهذا الأسلوب هم بلا شك مملوؤن بالكفر.

الخطية ليست جزءاً من تكوين الطبيعة البشرية:

وكيف تفهمون الطبيعة الإنسانية بشكل سليم، وأنتم تعتقدون أن الخطيةَ جزءٌ من تركيبها وتكوينها، وإذا وصلتم إلى هذه النتيجة، أليس هذا هو ذات تجديف المانويين؟

---

(١٦) واضحٌ أن النفس هي الروح، ولذلك عندما مات الإنسان، ذهبت النفس أي الروح إلى الجحيم، واستقر الجسد في القبر، ومن هنا يؤكد أثناسيوس أن المسيح حقق الخلاص بافتقاده القبر والجحيم. وهذا يؤكد بشكل حاسم أن أثناسيوس وكيرلس السكندري لم يقعا تحت تأثير الثلاثية اليونانية التي شاعت في كتب الفلسفة، وهي النفس والجسد والروح، أو ما يُعرف باسم Ttichotomy وإنما حتى الثنائية Dichotomy فهي بسبب السقوط وعقوبة الموت.

١٥– اذا تمسَّكتم بهذه الآراء، فأنتم بذلك تنسبون الخطية إلى خالق الطبيعة، وكأن الله عندما خلق الإنسان الأول آدم، قد خلقه بطبيعةٍ خاطئة.

الإنسانُ لم يُخلق بطبيعةٍ خاطئة:

وإذا صَحَّ هذا، فلماذا حَكَمَ على آدم عندما أخطأ؟ وكيف قيل إنه لم يعرف الخير من الشر قبل سقوطه؟ ألم يُخلق في البدء كصورة الله، في عدم فساد، وجعله الله على صورة أزليته (حكمة ٢: ٢٤)، أي خَلَقَه بطبيعةٍ غيرِ خاطئة، وبإرادةٍ حُرَّةٍ، ولكن بحسد إبليس دخل الموتُ إلى العالم، بعد أن وجدَ الوسيلة التي أدَّت إلى المعصية. وهكذا، بسبب عصيان وصية الله، صار الإنسانُ مجالاً بَذَرَ فيه العدو الزوان (مت ١٣: ٢٥). وتسلطت الخطيةُ بواسطة الأهواء على الإنسان، ورغم كل هذا، لم يكن الشيطان هو الذي خَلَقَ وكَوَّنَ طبيعةً ساقطةً في الإنسان، حاشا لله أن نعتقد بذلك؛ لأن الشيطانَ عاجزٌ عن الخلق[١٧]. وكُفر المانويين الذي نرفضه هو الذي ينسب الخلق للشيطان، ولكن التعليم الصحيح هو أن المعصية أدَّت إلى فساد الطبيعة الإنسانية، وبسبب ذلك "ملك الموت على كل البشر" (رو ٥: ١١، ١٤). ولنفس السبب قيل: "جاء ابن الله لكي يبيد أعمال الشيطان" (١يو ٣: ٨). وما هي أعمال الشيطان التي جاء ابن الله لكي يبيدها؟ إنها غواية الشيطان؛ لأن الله لم يخلق الإنسان خاطئاً، بل خلقه في عدم خطية، ولكن غواية الشيطان جعلته يعصي وصية الله، فأخطأ للموت، ولذلك أخذ كلمة الله هذه الطبيعة، وجدَّدها وجعلها في حالة لا تقبل الغواية ولا تخطئ، وهذا ما جعل الرب يقول: "رئيس هذا العالم آتٍ وليس له فيَّ شيء" (يو ١٤: ٣٠). إن رئيس العالم لم يجد شيئاً يخصّه في المسيح؛ لأن المسيح لم يتخلَ عن عمل يديه، ولم يتركه لرئيس العالم، ولذلك السبب أيضاً، عجز رئيس العالم عن أن يجد فيه شيئاً. **وهكذا أظهر المسيحُ التجديدَ، وأسَّسَ الكمال، وحقَّقَ خلاصَ الإنسان كله أي النفس العاقلة والجسد لكي تكمُل أيضاً القيامة.**

[١٧] الفرق الجوهري بين المسيحية والمانوية هو الاعتقاد بأن الطبيعة نفسها شريرة لأنها من صُنع إلهٍ شرير، فالمسيحية ترى أن الشَّرَ هو من سوء استخدام حرية الإرادة في الإنسان، أي أن مصدره الإنسان، وبالتالي تحتاج الإرادة إلى تجديد، وتحتاج الطبيعة الإنسانية إلى تقديس.

المسيح لم يأخذ جسداً فقط بدون نفسٍ عاقلةٍ:

باطلةٌ أيضاً سفسطة الأريوسيين القائلة بأن المخلص أخذ جسداً فقط، وهم بذلك يكفُرون؛ لأن هذا معناه أنهم ينسبون الآلام إلى اللاهوت غير المتألم. وباطلٌ أيضاً رأيكم النابع من مصدرٍ آخر غير الأسفار الإلهية، والذي يجعلكم تتفقون مع الأريوسيين؛ لأن ادِّعائكمٍ هو أن الابن استخدم الصورة الإنسانية التي لبسها، أي أنها كانت مجرد أداة فقط؛ لأنه في مكان الإنسان الداخلي الذي فينا، كان في المسيح ''عقلاً سمائياً». فكيف تألَّم وحَزِنَ وصلَّى كما هو مكتوب: «اضطرب بالروح» (يو ١٤: ٢١). **هذه أفعالٌ لا تُمت لجسد بلا عقل، ولا تُمت إلى اللاهوت غير المتألم، وإنما إلى نفسٍ عاقلةٍ لها شعور، وتتألم وتضطرب وتحزن وتحس بالآلام فكرياً.**

المسيحُ له عقلٌ إنساني:

١٦- أما إذا قررتم الاستمرار في التفكير بهذا الشكل، صار من المحتم عليكم أن تختاروا بين ثلاثة اعتقادات باطلة، وهي: إنكار التجسُّد- التجديف على اللاهوت- إنكار الخلاص، فأيٍّ من هذه الثلاثة تختارون؟ وإذا افترضتم أن الآلام والموت كانت مجرد خيالات، فهذا يعني أن ما قيل عن التجسد في الأسفار ليس حقيقياً. واذا افترضتم أن اللوغوس صار هو العقل الإنساني للنفس الإنسانية في الرب، فهذا يعني أن نفسه لم تكن نفساً بشريةً، ولم يكن لها إدراكٌ بشري؛ لأنها كانت تفكر بواسطة اللوغوس الذي صار عقلاً لها. وهذا تجديفٌ؛ لأن مَن يتصور أن عديم التغيُّر قد تغيَّر، فصار يشعر بالآلام والحزن والثقل، فهو كافرٌ. وإذا كانت الأناجيل تقول إن يسوع ''اضطرب بالروح''، فقد أعلن الرب نفسه بكلمات أخرى أنه يعني عقله الإنساني بقوله: ''نفسي قد اضطربت'' (يو ١٢: ٢٧). واذا كشف الرب بهذا عن عقله الإنساني، فقد أعلن بذلك أن فيه ذات العنصر الذي فينا، وهذا ما جعله يترفَّق بنفوسنا؛ لأنه في الوقت الذي يتألم والآلام

هي آلامه، فإننا نعترف بأنه غير متألم كإله. وكما فدانا بدم جسده، هكذا فدانا بفكرِه ونفسهِ، فأعلن انتصار نفوسنًا قائلاً: «أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣). وكما أن الدم عند المؤمنين ليس دماً بشرياً، وإنما هو القدرة القادرة على خلاصنا، هكذا نفسه وعقله ليسا شيئاً بشرياً ضعيفاً ينتمي إلى الإنسانية، وإنما يعلن طبيعة اللاهوت[١٨].

المسيح هو الإله الكامل والإنسان الكامل بلا انفصال:

وهكذا يُدعى المسيحُ الإله الكامل والإنسان الكامل، ليس لأن الكمال الإلهي قد تغيَّر إلى كمالٍ إنساني، فهذا كُفرٌ محض، ولا يعني هذا أننا نعترف باثنين كاملين، كلٌّ منهما منفصلٌ عن الآخر؛ لأن هذا ضد الإيمان القويم. كما أننا لا نقول بأنه تقدَّم ونما في الفضيلة والبر، حاشا لله.

اللاهوت والناسوت صارا واحداً كاملاً هو الإله المتأنس:

وإنما بالاتحاد الكامل، صار الاثنان (اللاهوت والناسوت) واحداً كاملاً في كل شيء، هو نفسه الإله المتأنس. لذلك عينه قال الرب: «الآن نفسي قد اضطربت»، أي أنها كانت تتألم، و"الآن" تعني عندما أراد. وهذا يوضِّح حقيقة تجسده، لأنه لم يكن يتكلم عن أمرٍ لا وجود له، كما لو كان يتكلم عن شيءٍ خيالي، وإنما كان يعني أنه تألم فعلاً، وأن ما حدث له كان حقيقياً.

إنسانية المسيح بلا خطية، وهي الإنسان الجديد لنا:

١٧– وحيث أن الرب صار إنساناً وأخذ طبيعةَ إنسانٍ، ولم يكن هذا مجرد خيالٍ، فلا معنى لإثارة موضوع الخطية كاعتراضٍ على التجسد؛ لأن الذي

(١٨) بسبب الاتحاد صار للدم والنفس الإنسانية وللعقل الإنساني قوة الألوهية، ويشرح القديس كيرلس هذا في رسالته إلى أركاديوس: "إن ما يساعدنا على فهم أكمل للمسيح الإله الحق هو أن نفكر فيه على الدوام على أنه الإله الحق الذي صار دمه فعالاً وقادراً على خلاصنا من خلال ألوهيته".

تجسد هو خالق الجسد. أمَّا عن الصراع الكامن في طبيعتنا، فهو ما اخترعناه نحن من شرور نبتت من غواية الشيطان الذي علَّمنا كيف نعصي الله، وزرع هذه الغواية في طبيعتنا. هذا الصراع لايزال يدور في داخلنا بسبب ضعفنا. أمَّا الربُّ، فقد تجسَّد دون أن يتخلى عن أُلوهيته، وهو ما يعني أنه لا يوجد فيه صراعٌ داخليٌّ صادرٌ من الطبيعة القديمة، أي إنساننا القديم. هذا يجعلنا نتعلم منه كيف ''نخلع الإنسان القديم، ونلبس الإنسان الجديد'' (أف ٤: ٢٢، ٢٤). وهذا في حدِّ ذاته سِرٌّ عجيب، فقد صار الرب إنساناً، ولكن ''بلا خطية''، وصار بذلك الإنسان الجديد الكامل، فكشف عما يقدر أن يفعله من أجلنا. وما يستطيع أن يفعله الرب بإرادته، أعلنه في طبيعته، ودبَّر أن يأخذه عندما تجسد، أي ميلاده من امرأةٍ، والنمو في القامة حتى صارت حياته تُحسَب بالسنين، والجوع والعطش والنوم والألم والموت والقيامة. **وهكذا حيث ساد الفسادُ على جسد الإنسان، قدَّم يسوعُ جَسَدَه، وعندما رُبِطَت النفسُ الإنسانية بقوة الموت، قدَّم يسوعُ نَفسَه، فاستطاع الذي لا يمكن أن يربطه الموت، أن يكون حاضراً كإنسان، وأن يفك رباطات الموت كإلهٍ، وحيث زُرِعَ الفسادُ، ينمو عدم الفساد، وحيثُ مَلَكَ الموتُ على الصورة الإنسانية، أي النفس، يحضرُ عديمُ الموت والذي يعطي الخلود، وبذلك يجعلنا شركاء في عدم فساده، وعدم موته بالرجاء في القيامة من الموت، وهكذا تم الخلاص عندما «لَبِسَ الفسادُ عدمَ فسادٍ، والمائتُ عدمَ الموتِ»، «وكما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، هكذا بإنسان واحد يسوع المسيح تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية»** (١كو ١٥: ٥٣ – رو ٥: ١٢).

وبعد كل هذا، ماذا تقصدون بقولكم: ''بدلاً من الإنسان الداخلي الذي فينا، كان في المسيح عقلٌ سمائي''؟ هل توافقون على تقسيم الإنسان الواحد إلى اثنين، واحد داخلي والثاني خارجي؟ ألم يفعل المسيح ذلك، عندما رقدَ الجسدُ في القبرِ، وذهبت النفسُ إلى الجحيم؟ هنا يجب أن نقرِّر أن شخصاً آخر، إذا كان

الآخر مختلفاً عنه[١٩] في الجوهر، ولذلك أعطى جَسَدَه من اجل أجسادنا، ونَفسَه من أجل نفوسنا، وكان هذا فداءاً كاملاً للإنسان كله. فهل سوف تهزأون مثل اليهود أعداء الحياة الذين سخروا من الصليب، فكانوا يمرون أمام صليبه يهزون رؤوسهم في سخرية (مت ٢٧: ٣٩). **إن الجحيم لم يكن يستطيع أن يحتمل ظهور اللاهوت غيرَ محجوبٍ في النفس الإنسانية، وهذه الحقيقة هي التي شهد بها الرسل والأنبياء.**

التأمُّل في تدبير الصليب:

١٨- وبالإضافة إلى ما ذكرناه، فإن الحقيقة سوف تظهر بوضوح أكثر إذا دققنا النظر في تدبير الصليب الذي أعلن عن حقيقة جسده، عندما سال دمُه وانسكب معه ماءٌ، فأعلن بذلك عن قداسة ناسوته[٢٠] وأنه بلا عيبٍ؛ لأنه جسد الكلمة الله. وعندما صرخ بصوتٍ عالٍ، ''وأحنى رأسه ولفظ روحه'' (مت ٢٧: ٥٠ - يو ١٩: ٣٠)، أعلن بذلك عما في داخل جسده، أي نفسه الإنسانية التي قال عنها في مناسبة أخرى: «أنا أضعها عن خرافي» (يو ١٠: ١٥). ولا يمكن لمن يفهم تدبير الصليب بشكلٍ سليم، أن يفهم أنه عندما لفظ أنفاسه، كان هذا بمثابة مفارقة اللاهوت له، وإنما كان خروج نفسه[٢١] فقط. ولو كان الموتُ، أي موت الجسد -كما يقولون- هو مفارقة اللاهوت لجسده، **لكان هذا موتاً خاصاً به فقط، وليس الموت الذي يخصُّنا نحن. وكيف يمكن للَّاهوت أن ينزل إلى الجحيم علانيةً بدون حجابٍ يستتر به؟ وفي هذه الحال، علينا أن نسأل أين النفس الإنسانية التي وعد الرب بأن يضعها عن خرافه؟** ألم تكن

---

[١٩] تعتبر هذه العبارة من أقوى عبارات القديس أثناسيوس عن الفداء؛ لأنه يؤكد فيها بشكل قاطع أن الفداء مستحيل بدون اشتراك الابن في طبيعتنا الإنسانية، كما أنه مستحيلٌ أيضاً بدون اشتراكنا نحن في طبيعة الابن المتجسد (راجع المقدمة).

[٢٠] هذا واحد من ضمن التفاسير الرمزية لخروج الماء والدم من جنب المخلص.

[٢١] واضحٌ هنا أن القديس أثناسيوس يستخدم كلمة ''نفس'' حسب معناها العبراني القديم، أي الحياة والتنفس كتعبير عن الحياة.

هي نفسه التي سبق وأخبر الأنبياء عنها بإعلاناتٍ نبويةٍ؟ أمَّا إذا كان موته هو خروج نفسه منه، **فإننا في هذه الحالة يمكن أن نقولَ إنه مات الموت الذي يخصُّنا نحن، أي أنه قَبِلَ واحتمل تقسيم الإنسان إلى نفسٍ وجسد، كما سبق واحتمل ميلادنا الجسداني.**

١٩– باطلةٌ هي سفسطتكم. كيف يتم الموتُ، إذا كان الكلمة لم يأخذ لنفسه ''الإنسان الخارجي والإنسان الداخلي''، أي الجسد والنفس؟ وكيف دفع الفديةَ عن الكل (١تي ٢: ٦)؟ وكيف حلَّ سلاسل الموت تماماً؟ كيف استطاع المسيحُ ذلك، إذا لم يكن قد أخذ لنفسه، وبلا خطية، ذات الذي أخطأ بالفكر، أي النفس. **فإذا لم يأخذ نفساً إنسانيةً يظلُّ الموتُ «يملك» على الإنسان الداخلي**. وعلى أي شيءٍ مَلَكَ الموتُ؟ أليس على النفس التي أخطأت فكرياً، والتي قيل عنها: «النفس التي تخطئ تموت» (خر ١٨: ٤). من أجل ذلك أَسلَمَ المسيحُ نفسه لأجل كلِّ نفسٍ، وقدَّم نفسه فديةً عن الكل[٢٢].

الله لم يحكم على صورته، بل على إرادة الخليقة:

وما الذي حَكَمَ عليه الربُّ في البدء؟ هل على الخليقة التي صوَّرها الخالق وصنعها، أم على العمل الصادر من إرادة الخليقة؟ فإذا دان الله الخليقةَ التي خلقها، فقد دان نفسه، وأصبح في هذه الحالة مثل البشر. وإذا كان كُفراً أن نفكِّرَ في أن الله مثل البشر، فالله دان العمل الصادر من إرادة الخليقة التي كوَّنها وصوَّرها[٢٣]،

---

[٢٢] ''فديةً عن الكل'' هو تعبير إنجيلي بحت، ورد في (١ تيمو ٢: ٦)، ولكنه هنا، كما في تجسد الكلمة ليس له أية دلالة قانونية عقابية؛ لأن نص ١ تيمو ٢: ٦ يجب أن يُدرَس مع مر ١: ٤٥ «لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم، بل ليخدِم ويبذل نفسه (أو حياته) فديةً عن كثيرين»، وهو ما نسمعه في شهادة الكنيسة عن خدمة الرب لنا: «أنت الذي خدمت لي الخلاص» (القداس الغريغوري). فلازال الرب يخدم خلاصنا بتقديم الفدية، أي الذبيحة التي تطهر وتقدس وتغفر في القداسات.

[٢٣] الفرق بين إدانة الخليقة وإدانة العمل النابع من الخليقة هو فرقٌ جوهري؛ لأن الحكم على الخليقة يعني رفض الله التام لأن يتدخل لعلاج الفساد الذي دبَّ في الخليقة، وهذا يعني في النهاية استحالة الخلاص.

وفي هذه الحالة يكون قد أدان العمل نفسه ونتائجه، وجدَّد الخليقةَ التي صوَّرها، ويتم القول: ''لأننا نحن خليقته التي خلقها لأعمال صالحة'' (أف ٢: ١٠).

المولود من العذراء إلهٌ متجسِّد:

٢٠- لكن يبقى اتهامكم لنا بأننا نقول: ''إن الذي ولد من العذراء مريم هو إلهٌ''. ونحن نسألكم: لماذا تستخدمون ذات لغة مرقيان الذي ادَّعى أن الله جاء وافتقدنا بشكلٍ غيرِ محسوسٍ فقط؛ لأن طبيعة الله لا تقبل الاتحاد بالجسد البشري؟ ولماذا تتكلمونً عن الله مثل بولس الساموساطي؟ ألم يكن مثل هذا الأسلوب الغامض هو الأسلوب الذي حاول أن يستر به كُفره، وقال إنه يعترف بأن المولود من مريم هو إلهٌ بمعنى خاص، أي أنه أخذ بدايته من مريم، رغم أنه كائنٌ قبل كل الدهور، وكان يعترف بأن في المسيح كلمة (لوغوس) وحكمة من السماء، تحرِّك المسيحَ وتعمل بواسطته؟

كانت هذه نظرته الكُفرية، وهل تختلف هذه اللغة عن اللغة والمعاني التي تستخدمونها في الكلام عن المسيح، كمَن حلَّ فيه عقلٌ سمائي؟ أمَّا الحقيقة، فهي أن الجسد الحي بلا نفسٍ، ليس إنساناً كاملاً، ولا مَن له عقلٌ سمائي يمكن أن يكون إلهاً.

الجسد غير النفس، والنفس هي روح الإنسان:

وعندما نقول: الإنسان الحي، فإننا نقصد بكلِّ وضوح، الإنسان الذي له نفسٌ عاقلةٌ. كما أن جسد الإنسان يُدعى جسداً ولا يُدعى نفساً، وأيضاً نفسُ الإنسانِ

بهذا يميِّز أثناسيوس بين الطبيعة كما خلقها الله وهي موضوع محبة الله، والطبيعة كما أفسدها الإنسان، وهي المحتاجة إلى التجديد. وعلى هذا الأساس يجب أن نعيد النظر في فهم هذه النقطة الهامة عند دراستنا لعقيدة الفداء. وكما هو ظاهرٌ من كلام أثناسيوس، ظلَّ الله يحب الخليقة؛ لأن السقوط ليس من جوهر الخليقة، وإنما هو اختراعٌ نابعٌ من سوء استخدام الحرية، وبالتالي عندما جاء وتجسد، كان يعبِّر عن محبته وصلاحه واهتمامه بما قد خلقه (راجع المقدمة).

تُدعى نفساً ولا تُدعى جسداً بالمرة. أمَّا عن علاقة النفس بالجسد، وبسبب اختلاف طبيعتها عن طبيعة الجسد، فهي تُدعى «الروح»[٢٤] ولولا ذلك لَمَا قيل: ''مَن يعرف فكر الرب'' (١ كو ٢: ١٦). وفكرُ الربِّ، أي عقله، هو إرادة ومشورة الرب، وليس الرب نفسه. لماذا تغشون كلمة الرب (٢كو ٢: ١٧) بإضافة كلماتكم إليها؟ إن الكنيسة لم تقبل، ولا تسلَّمت ولا سلَّمت لنا هذه التصورات، إنما حسب ما هو مكتوبٌ، أن الله الكلمة الكائن قبل كل الدهور مع الآب (يو ١: ١) قد جاء في الأزمنة الأخيرة (عب ٩: ٢٦)، ووُلِدَ من العذراء القديسة مريم والروح القدس، وأنه ابنُ الإنسان الذي كُتِبَ عنه إنه البِكر «ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البِكر» (مت ١: ٢٥). وأيضاً: «لكي يكون بِكراً بين أخوةٍ كثيرين» (رو ٨: ٢١). **هو نفسه الإله الحق، تألم لأجلنا كإنسانٍ، وفدانا من آلام الموت كإله.**

البشريةُ عاجزةٌ عن تجديد ذاتها بدون المسيح:

باطلٌ تصوُّركم الذي يوحي لكم بأنه في استطاعتكم أن تنالوا تجديد النفس التي تحرك الجسد وتفكِّر، بتصوُّركم أن التجديد يتم بمجرد التشبُّه ومحاكاة المسيح. هذا باطلٌ؛ لأن المحاكاة تعني أن نتشبَّه بمن هو مثلنا. ويجب في هذه الحالة، أن يكون النموذج كائناً فعلاً، وإلا استحال تقليده. هنا، وفي غياب النفس الإنسانية، يصبح تجديد الجسد هو ما تمَّ وتحقَّق فعلاً، وهكذا تضلِّون وتجدِّفون؛ لأن البشريةَ عاجزةٌ عن أن تجدد ذاتها بدون المسيح، وتجديد النفس التي تقود الجسد لا يتم بدون المسيح؛ لأن المقود يتبع قائده. وما دمنا قد وصلنا إلى هذا الحد، صار من حقنا أن نسألكم ماهي منفعة مجيء المسيح وتجسده؟[٢٥].

---

[٢٤] يؤكد أثناسيوس ما سبق وأشار إليه سابقاً من أن الإنسان مكونٌ من جسد ونفس فقط. راجع فقرة ١٤ من هذا الكتاب.

[٢٥] تظهر هنا نقطتان أساسيتان: أولاً: إن الهرطقات مدارس أخلاقية فقط بلا أساس لاهوتي؛ لأن التجديد الذي يتم بالتشبُّه والتقليد، هو تقليدٌ بلا نعمة. ثانياً: إن الإقلال من ألوهية المسيح مثل الإقلال من إنسانيته، يؤدي في النهاية إلى ضياع الخلاص أو غموضه. وفي مصر أكَّدنا عبر التاريخ ألوهية الرب دون أن نؤكد بنفس القوة إنسانيته أيضاً.

أهمية مجيء المسيح وتجسده:

٢١– أمَّا الذين يقولون كلاماً لا أساس له بالمرة، مدَّعين بأن الله الكلمة جاء كما جاء من قبل للأنبياء، نقول لهم إنه ولا واحد من هؤلاء عندما جاء إليه الكلمة قيل عنه إن الله تجسَّد. وعن هذا التصوُّر الفاسد نسأل أيضاً: لماذا لم يكن يكمِّل الناموسُ شيئاً (عب ٩: ١٩)؟ ولماذا مَلَكَ الموتُ على الذين لم يخطئوا مثل آدم الأول (رو ٥: ١٤)؟ وأيضاً لماذا قال الرب: ''إذا حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً'' (يو ٨: ٣٦)؟ **أليس هذا إعلاناً عن التجديد الذي تمَّ به، والكمال الذي نؤمن بأننا نلناه فيه؟ لأننا به تجدَّدنا، وبه نتشبَّه وفيه نشترك في المسيح الجديد**. أمَّا أنتم، فقد اخترعتم ما هو باطل، وبذلك فقدتم الخلاص. هذا الباطل يدفعكم لعدم استخدام كلمة «نفس»، ويصوِّر لكم أن تستخدموا عبارات مثل هذه: «العقل المضطرب»، «إنسان الخطية»، وأحياناً بكل جرأة: «فاعل الإثم»، يمكن أن يحل محل كلمة واحدة، وهي «النفس». وباطلٌ أيضاً قولكم عن الجسد: «غير المخلوق»، وأحياناً: «السمائي»، وأيضاً: «المساوي للكلمة في الجوهر».

إن هدفكم من كل هذا، وبوضوح هو إنكار التجسد. وكما عثر الأريوسيون وسقطوا في عدم فهم ميلاد الابن الفائق والأزلي من الآب، واخترعوا كلمات وعبارات لكي يتفادوا الاعتراف الصحيح، مثل هذه الكلمات المضادة لميلاد الابن الأزلي: ''الميلاد يعني الشهوة''، و''تقسيم جوهر الله''، و''رخاوة الطبيعة الإلهية''. والهدف من هذه الكلمات غير المقدسة هي أن يُسقِطوا غير الثابتين في حفرة المعصية، لأن ''فم العاصي هو حفرةُ أثمٍ عميقة'' (أم ٢٢: ١٤).

وهكذا حاول سابليوس نفس الشيء، وافترض أن الابن بلا جوهر، وأن الروح القدس غيرُ كائنٍ، واتَّهم الذين قاوموه بأنهم يقسِّمون جوهر الله، إذا صرَّحوا بإيمانهم بالأقانيم الثلاثة. وقد توهَّم سابليوس بأن العلة الخالقة تظهر في أشكالٍ متتابعةٍ معيَّنةٍ، ولكن ذلك أدَّى إلى الإيمان بعدةِ آلهةٍ[٢٦] بعد ذلك، فسقط

---

[٢٦] قاوم سابليوس الإيمان بالثالوث، وادَّعى بأن الآب والابن والروح القدس هم مجرد ظهورات لإلهٍ واحدٍ،

سابليوس وأتباعه في كُفر اليهودية بإنكار أزلية الابن[٢٧]. وأيضاً المانويون الذين لم يؤمنوا بتجسد الرب ولا بتأنسه، وكفروا بقولهم إن الإنسان خاضعٌ لإلهين: واحد شرير، وآخر خيِّر. أمَّا أنتم، فأردتم أن تقاموا الحق واخترعتم هذه الشعارات التي توجِّهونها ضدنا؛ لأنكم تتهموننا بأننا نقول بأننا نؤمن بابنين، وتدعُوننا ''عابدين الإنسان''، وتثيرون موضوع علاقة الخطية بالعقل، ليس لكي تَصِلوا إلى الخلاص والإيمان الحق، وإنما لكي تَصِلوا إلى التناقض التام مع أنفسكم، خصوصاً عندما تستخدمون كلماتٍ صالحةٍ بقصد نشر مبادئكم السيئة. ولكن هذا يؤدِّي إلى أن تُبعدوا غير الثابتين، عن الإيمان بما تضيفونه من كلمات كُفرٍ. أمَّا نحن، فإن أساسنا ثابتٌ لأن الله قد ختمه (٢ تي ٢: ١٩).

٢٢– يا صديقي العزيز، لقد كتبت هذا **حسب الحق، أي حسب التسليم الإنجيلي الذي هو كافٍ، والذي لا يجب أن يكتب أحدٌ غيره، أو يضيف إليه شيئاً آخر**. لقد كتبتُ لأنكَ سألتني عن الإيمان الذي فينا، وطلبت أن نرد على الذين يتكلمون حسبما يحلو لهم وعن اختراعاتهم، ومَن يتكلم مِن نفسه يكذب (يو ٨: ٢٤)؛ **لأن العقل البشري لا يستطيع أن يعبِّر عن جمال مجد تجسد المسيح**، ولكن علينا أن نعترف بما تمَّ ونعلنه حسبما جاء في الأسفار، وأن نثبُت على الدوام، عابدين الله الكائن إلى الأبد، وأن نمجِّد محبته التي إذا اعترفنا بها، ننال الخلاص في المسيح يسوع ربنا، آمين.

وبالتالي أعتبر أن العلة الخالقة واحدة، ولكن لها أشكالاً مختلفةً متتابعةً، وقد أدَّى هذا في مرحلة لاحقة إلى الإيمان بتعدد الآلهة.

[٢٧] كُفر اليهودية هو تعبير شائع عند الآباء، وأحياناً يُكتب ''تجديف اليهودية''؛ لأن إنكار الابن هو بمثابة البقاء في إطار العهد القديم فقط.

الكتاب الثاني

ظهور المسيح المُحيي

مقدمة لاهوتية

هذا الكتاب، هو الكتاب الثاني الذي كتبه القديس اثناسيوس للرد على بدعة أبوليناريوس، ولذلك فهو تكملة لكتاب "تجسد ربنا يسوع المسيح" الذي صدر في يناير ١٩٨٣.

وقد سبق أن كتبنا لمحةً تاريخيةً في الكتاب الأول، وأشرنا إلى محتوى هرطقة أبوليناريوس في الكتاب الأول (راجع الكتاب الأول) كما درسنا أهمية وجود النفس الإنسانية في المسيح

يهمنا في هذه العجالة البسيطة أن ندرس موضوع الوسيط بين الله والناس، وهو الاله المتجسد الذي ينوب عن الله لدى البشر، وينوب عن البشر لدى الله. هذا الموقع المتبادل في الاختصاص هو سر قوة تعليم الفداء. وهو الذي جعل لموت المسيح ولقيامته الأهمية الكبرى لحياتنا، والذى جعل أي تفسير خاطئ للعقيدة هو في الواقع بمثابةِ هدمٍ لخلاص الإنسان.

أهمية الكتاب الثاني:

يختلف الكتاب الثاني عن الكتاب الأول في أنه يحدد مصدر هرطقة أبوليناريوس واعتمادها على الأريوسية، ثم على أم الهرطقات جميعاً، وهي هرطقة ماني التي نادت بثنائية بين الجسد والروح، والخير والشر، وجعلت إله الخير كائناً آخر غير إله الشر

والأسئلة العقائدية المتفرعة عن هرطقة ماني قد شرحها وأجاب عليها القديس أثناسيوس الرسولي في فقرات (٥، ٦، ٧، ٨)، وبشكلٍ خاص (فقرة ٩). وعن السؤال عن عدم وجود خطية في المسيح، أكّد أثناسيوس قداسة المسيح بسبب

أمرين، أولهما: ميلاده من الروح القدس ومن عذراء. وثانيهما: الاتحاد بين اللاهوت والناسوت. والاتحاد بشكلٍ خاص معناه أن قداسة الابن الكلمة، أي صفته الأقنومية، صارت لجسده، وبالتّالي قابَل المسيحُ التجاربَ والشيطان إنسانياً، ولكنه زوَّدَ جسده بالقوى الإلهية التي جعلت الشيطان يندحر(راجع فقرة: ١٠)

ونظراً لأهمية «الوسيط»، سوف نخصص الصفحات التالية لدراسة موجزة جداً تاركين للقارئ استنتاج أهمية التجسد وضرورة الاعتقاد السليم بأن المتجسد هو ابن الله وابن الإنسان، وأنه شخصٌ واحدٌ، لا يمكن أن ينقسم إلى اثنين من بعد الاتحاد، بل هو واحد منذ الاتحاد (فقرة: ١٠).

وساطة المسيح:

(أ) مَن هو الوسيط؟

يقول الرسول بولس: ''أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ، والحياة التي أحياها الآن هي حياة إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي'' (غلا ٢: ٢٠)، وبهذه العبارة البسيطة والعميقة معاً، وضع لنا الرسول ثلاثة عناصر متحدة معا: اختفاء الحياة القديمة – ولادة الحياة الجديدة في المسيح – اعتماد هذه الحياة الجديدة على صليب الرب وقيامته. وهكذا يجب أن نفهم وساطة المسيح في شكلها الرسولي الأصيل. فهو الوسيط الوحيد بين الله والناس. واستحالة وجود وسيط آخر نابعةٌ من حقيقة واضحة جداً، وهي استحالة وجود وسيلة أخرى للخلاص من الموت والخطية بدون ربنا يسوع المسيح. فالكلام عن وسيطٍ آخر، أو طريقٍ آخر غير المسيح يعني بكل وضوح عدم فهم لحقيقة مأساة السقوط ونتائجها المدمرة، وفي مقدمتها الموت.

لكن وساطة المسيح يجب أن تُفهم بشكلٍ صحيح. فالكلام عن الوساطة يجلب معه أخطاراً شديدةً لا يمكن قبولها. فالوسيط لا يمكن أن يكون إلهاً فقط؛ لأن ألوهية الوسيط وحدها سوف تترك مشكلة الموت الإنساني بلا علاج. ولا

يجب أن يكون إنساناً فقط؛ لأن هذا يعني أن الوسيط بدوره خاضعٌ لذات المشكلة التي يجب أن يخلِّص نفسه منها أولا، وهنا سخرية أحد اللصين: ''انزل عن الصليب فنرى ونؤمن''. كان اللصُّ يرى أن موت المسيح هو النهاية واستحالة الخلاص، ولكن إن بقى حيّاً، ربما استطاع أن يقود حركة عصيان ضد السلطة، ولم يكن اللص يفهم أن التمرد و العصيان هما الشيطان والموت، ورفض منطق الحياة من أجل الحياة. ولا يمكن أن يكون الوسيط مزيجاً من اللاهوت والناسوت، أو كائناً مكوَّناً من الاثنين، فالكائن الذي هو مزيج –وهذا هو تعليم أبوليناريوس– لا يكون الإله الحق والإنسان الكامل. فالمزيج ليس هو الإله الحق؛ لأن لاهوته امتزج بعنصرٍ آخر، ولا هو إنسانٌ كاملٌ؛ لأن ناسوته لم يعد يشبه الطبيعة الإنسانية الذي جاء لأجلها.

(ب) تعليم الهراطقة عن الوسيط:

هكذا، كان التعليم عن الوسيط هو محور الصراع العقيدي بين الآباء، وهراطقة القرنين الربع والخامس، وفي مقدمتهم أريوس وأبوليناريوس نسطور وأوطاخي، حيث كان هؤلاء يؤمنون –كلٌّ على حدة– بشكلٍ معيَّنٍ للخلاص.

كان الخلاص الأريوسي هو تقدم دائم نحو الكمال وبالأعمال الصالحة، وبذلك لا يكون المسيح سوى النموذج الكامل الذي تقتدي به الانسانية.

وكان أبوليناريوس يرى أن الخلاص هو تحوُّلٌ أخلاقي بمحاربة دور العقل البشري، فهو المجال الأصيل للشر، وبالتالي عندما تجسد المسيح، لم يكن له عقلٌ إنساني بالمرة، وهذا ما يجعل الخلاص هو تشبُّه بأخلاق المسيح، دون بحث كيفية الاتحاد بالمسيح، أو أهمية عبارة كعبارة الرسول بولس: ''مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح حي فَّي'' (غلا ٢: ٢٠).

ومع إنكار الاتحاد بين الناسوت واللاهوت، كان نسطور قد عاد إلى الأريوسية؛ لأنه علَّم نفس تعليم أريوس، مؤكِّدا أن المسيح الإنسان سعى نحو

الكمال، وأن الكمال ناله كجائزة بسبب حلول اللاهوت فيه، لاسيما بعد معموديته من يوحنا.

وخلف هرطقة أوطاخي تكمن هرطقة ماني وثنائية الغنوسية، وهي القائلة باعتبار الجسد المادي من صنع إله الشر، وهو ما يجعل وجود الابن المتجسد شيئا مزعجاً لا يمكن قبوله عند المانويين، ولذلك نادوا بخيالية الجسد الإنساني واعتبروه خيالاً، وجاء أوطاخي يكمِّل كلامهم، وادَّعى بأنه ذاب حسب تعبيره الذائع. "مثل نقطة خل في محيط من الماء".

(جـ) تناقض الهرطقات مع حقائق الخلاص:

فالهرطقات الأربعة القديمة: الأريوسية - الأبولينارية - النسطورية — الأوطاخية، هي المدارس الفكرية التي وُلِدَت في أحضان المانوية والغنوسية، وحاولت أن تفسِّر دون أدنى تردد، كل عقائد المسيحية. وهنا نكتفي فقط بالجانب الخاص بالمسيح، لنرى كيف أن الهرطقة مدرسةٌ كاملةٌ، وليست تعبيراً أو كلمة أو عبارة، والقائلون بأن الهرطقة كلمة، إنما يبسِّطون الأمور أكثر مما يجب، وهو تبسيط ينتهي بنا إلى نسيان الموضوع برمته.

كانت الأريوسية ترى أن الله لا يمكنه أن يتصل بشكل مباشر بالمخلوقات، ولذلك خَلَقَ عدة كائنات متوسطة، أي إلهية يمكنها أن تقوم بخلق العالم.

واعتبر أريوس أن المسيح له المجد هو واحدٌ منها. هذه نظرية الوثنية القديمة التي اعتنقها مارقيون وباسيليدس وفالنتيان وغيرهم من أقطاب الشيعة الغنوسية. ومع هذا نرى كيف يتحول الكائن المتوسط المسيح إلى مخلص للخليقة الساقطة. وطبعاً لا يبقى أمام أريوس سوى المستوى الأخلاقي المقدَّس الذي نراه في الإنجيل، وهو ما حاول يسوع المسيح نفسه الوصول إليه، وبذلك فَتَحَ لنا الطريق للوصول إلى الحياة الأخلاقية الجيدة، إذا قبلنا أن نتشبَّه به.

هنا تختفي تماماً كلمات هامة مثل: النعمة – المغفرة – الحياة الجديدة – الاتحاد بالمسيح. وهنا أيضاً يحرص الآباء على إبراز نقطة الضعف في المدرسة الأريوسية، ويقدِّمون الحل الأرثوذكسي بتأكيد ضرورة اشتراك الإنسان في الطبيعة الالهية (٢ بط ١: ٤). مَن هو عديمُ الموت، وخالدٌ لا يموت، ومَن هو الكامل الصالح والقدوس؟ إذا كان الجواب هو الله وحده، فإن هذه الخيرات لا يمكن أن تُعطى للخليقة إلّا بواسطة الله. إذن، المخلِّص لابُد وأن يكون الله نفسه. ولكن كيف تُعطى؟ الجواب: بوسيلة إنسانية، وهنا يجب أن يتجسد حتى يمنح لنا من خلال جسده الحياة الجديدة.

بالنسبة إلى أبوليناريوس، كان إيمانه بألوهية المسيح صحيحاً، فهو عدوٌّ لدودٌ للأريوسية، ولكنه عندما واجه سؤال الأريوسية: كيف أخذ المسيح عقلاً وطبيعة إنسانية خاطئة؟ فإنه تطرَّف في الرد على السؤال الأريوسي، وقال إن المسيح كان اللوغوس العقل الإلهي الذي حلَّ محل العقل البشري، فالمسيح لاهوت وجسد بشري بلا نفس إنسانية[٢٨] ومع صحة اعتقاده بلاهوت المسيح، إلّا أن الناسوت غير كامل، أو بالحري الاتحاد ناقص. فاتحاد الله الكلمة بجسد مثل جسدنا –حسب تعبير معلمنا القديس أثناسيوس– لا يعني بقاء الخطية في الجسد الإنساني[٢٩]. فالاتحاد والصليب والقيامة هو الذي جعل الجسد بلا خطية، بل لم ير فساداً. ولو كان للمسيح عقلٌ سمائي هو اللوغوس، ولم يكن له عقل إنساني

---

[٢٨] جمع العالم الألماني Lietzmann كل نصوص أبوليناريوس ونشرها سنة ١٩٠٤م.

[٢٩] يقول أثناسيوس في كتاب «تجسد الكلمة» عن ناسوت المسيح: «جسد من جنسنا» (٨: ٣). «جسد لا يختلف عن جسدنا» (٨: ٢). «أخذ جسداً مماثلاً لطبيعتنا» (٨: ٤). «جسد قابل للموت» (٩: ١) «جسد قابل للموت لأنه مماثل لأجساد البشر» (٩: ١) راجع (١٣: ١) «جسداً بشرياً قابلاً للموت» (٢٠: ٤) «جسد مثل سائر البشر نظرائه» (٢٠: ٤). هذه العبارات تؤكد أن جسد المسيح أيضاً قابل للموت، وهو ما يسميه أثناسيوس جسد قابل للفساد، ولكن المسيح –بالاتحاد– نزع عنه هذه الصفة، والتقى بالفساد وبالموت في جسده هو، وأباد الموت والفساد بالاتحاد وبالقيامة (٤٤: ١–٦). «جسد قابل للموت – أي الفساد الطبيعي وفق الناموس الطبيعي، ولكنه بفضل اتحاده بالكلمة لم يعد خاضعاً للفساد» (٢٠: ٤ – ١٧: ٧). (ذكرنا رقم الفصل والفقرة واعتمدنا على ترجمة الأب الفاضل القس مرقس داود).

مثل عقلنا، فهذا يعني أن العقل الإنساني تُرِكَ بلا فداء. وهنا يجب أن نقف عند هذه النقطة، فالاتحاد هو دعامة الخلاص حسبما ذكرنا في مقدمة الكتاب الأول: إن كل ما أخذه المسيح قد نال الشفاء فيه، وكل ما رفضه و لم يأخذه تُرِكَ بدون شفاء.

وماذا يعني الاتحاد بالناسوت؟ إنه يعني تجديد الناسوت، ويعني أيضاً:

أولاً: التجديد الذي يحدث في الناسوت، أي ناسوت المسيح، هو الذي سوف يُوهَب لكل إنسان في المعمودية والإفخارستيا.

ثانياً: كل ثمار هذا الاتحاد هي التي ننالها للحياة الأبدية، وبشكلٍ خاص، القيامة من الموت وحياة عدم الفساد.

ثالثاً: في هذا الإطار يجب أن نفهم معنى الشركة في الطبيعة الإلهية، فنحن مِن خلال الوسيط، أي ربنا يسوع المسيح، وبالاتحاد السِّري بجسده، ننال ما ناله جسد المسيح من تجديد، أي القيامة والشركة في اللاهوت.

في هذا الإطار أيضاً انزعج الآباء من هرطقة نسطور، وهي وإن كانت تحتاج لمناقشة خاصة، إلَّا أنها لا تختلف عن أبوليناريوس إلَّا في نقطة واحدة محددة، وهي عدم فهم الاتحاد. ففي الوقت الذي أنكر فيه أبوليناريوس وجود نفس إنسانية، أنكر فيه نسطور عدم وجود اتحاد بالمرة، وهذا الاتفاق هو على النتيجة النهائية، أي الخطأ في فهم الاتحاد.

(د) ماذا يعني الخطأ في فهم الاتحاد، أو إنكار النفس الانسانية؟

أولاً: أن المسيحَ إنسانٌ غير كامل، فقد أخذ نصف الإنسان فقط. وهذا يطرح عدة أسئلة خطيرة طرحها آباء مثل غريغوريوس النيسي وباسيليوس وغيرهم عن مصير العقل والنفس الإنسانية: كيف ترث هذه النفس ملكوت الله؟ وكيف تتجدد وقد تركها المسيح خارجاً لأنه لم يتحد بها؟ فما اتحد به هو

الذي سيدخل الملكوت، أمَّا ما لم يتحد به، فلن يرى ملكوت الله.

ثانياً: أن المسيح ليس هو الكاهن الذي به تدخل صلوات الكنيسة إلى الآب، ولعلنا هنا يجب أن نتوقف برهةً حول قوة التسليم الرسولي والآبائي الذي احتفظت به الكنيسة القبطية، فهي بعد تلاوة الصلاة الربانية، وقبل ختام الصلاة تقول: "بالمسيح يسوع ربنا". فكل ما طلبناه لا يمكن أن يتحقق إلَّا بالمسيح يسوع ربنا الذي يمثل كهنوته حقيقتين أساسيتين:

(أ) إنه نائبٌ عنّا يظهر أمام وجه الآب لأجلنا، وبالتالي، فهو يحمل كل ما في الإنسان: الجسد والإرادة والعقل والنفس، ولكنها صارت ممَّجدةً فيه، وظهوره أمام الله الآب لأجلنا (عب ٩: ٢٤) يعني أنه قائمٌ بدلاً عنّا يشفع فينا بحضوره. فالآب يقبل صلوات الكنيسة به، والآب يعطي كل شيء لنا فيه: "مهما سألتم من الآب باسمي فهذا أفعله" (يو١٤: ١٣).

(ب) ينوبُ المسيح عنا كآدم الثاني الذي قهر الخطية في جسده. ويناقش القديس أثناسيوس هذا في الفقرة ٨، ٩، ١٠ من هذا الكتاب مؤكِّداً **أن الرب «نازَلَ العدوَّ وأحرز النصرَ بذلك** (الجسد) **الذي سبق أن هُزِمَ، ومَرَّ يسوعُ بكل صور التجارب كاملةً لأنه أخذ الذي يمكن أن يجوز التجربة، وبكل هذه أحرز النصر للإنسانية قائلاً: "افرحوا أنا قد غلبت العالم"** (يو **١٦**: **٣٣**). **فالشيطان لم يحارب اللاهوت الذي لا يعرفه، بل لم يكن يجسر على ذلك ...**" (فقرة: **٩**)، **لكن حارب الشيطان الناسوت المتَّحد به اللاهوت، ولذلك يقول أثناسيوس: «فأعلن الرب مجد الإنسان الفائق الذي لا يمكن إدراكه، وذلك بالاتحاد والشركة بالحق في الطبيعة الإلهية لله العلي»** (فقرة: ٨)، هكذا تم الانتصار.

ثالثاً: وكما أشرنا من قبل، كان التجديد قد تمَّ في المسيح يسوع نفسه أولاً، وهنا يسجِّل أثناسيوس: "فوُلِدَ من امرأةٍ وجدَّدَ في ذاته صورة الإنسان كما خُلِقَت في البدء، وذلك بالظهور بجسده الخالي من الشهوات والأفكار

الجسدية، وصار مثال التجديد، والإرادة الإلهية الخاصة بالكلمة، كانت أيضاً في صورة العبد؛ لأن ملء اللاهوت حلَّ عندما تجسَّد وظهر كآدم الثاني، دون أن ينقسم إلى شخصين، وإنما تم اتحادٌ حقيقيٌّ بين اللاهوت والناسوت، ولذلك اقترب الشيطان من يسوع كإنسان، ولكنه لم يجد فيه ملامح الإنسان القديم ولا الزرع الذي زرعه (الشيطان) في الإنسان، ولذلك لم ينجح في تجاربه فهُزِمَ واندحر ... لذلك قال الرب: رئيس هذا العالم آتٍ ولن يجد فيَّ شيئاً (يو ١٤: ٣٠) .. أي في كيانه الإنساني كله والحقيقي، ولا يشير إلى جسده المنظور فقط (بل والنفس أيضاً)، وهكذا أُبيدت الخطية بالمسيح (١بط ٢: ٢٢) (فقرة: ١٠).

وهكذا، يجب أن نفهم أن الانتصار على الشيطان هو أحد نتائج الاتحاد، وأن الاتحاد هو الذي أباد من الطبيعة الإنسانية، الزرع القديم الذي غرسه الشيطان في الإنسان. يؤكد أثناسيوس أكثر من مرة إن الذي جُرِّبَ هو الناسوت (فقرة: ١٣)، وإن الذي كان وراء الانتصار هو الاتحاد (فقرة: ١٠).

(هـ) الاتحاد وموت المسيح على الصليب:

يقرر أثناسيوس التعليم الرسولي القديم بأن موت المسيح على الصليب، كان انفصال النفس عن الجسد: «**وعندما صرخ بصوت عال، أعلن عن نفسه الإنسانية التي أسلمها دون أن تنفصل عن اللاهوت، وإنما بخروج نفسه مات الجسد، أمَّا اللاهوت، فلم يفترق من الجسد في القبر ولا من نفسه في الجحيم. وهذا هو معنى الكلمات التي نطق بها فم النبي: "لن تترك نفسي في الهاوية ولن تدع قدوسك يرى فساداً" (مز ١٦: ١٠)**» (فقرة: ١٤).

وهكذا كان من الضروري تأكيد اتحاد اللاهوت بالجسد والنفس، ذلك أن الاتحاد كما يقول أثناسيوس يعني مسألتين:

(أ) «**بنفس الإله انحلت قبضة الموت وتمت القيامة من الجحيم**».

(ب) «**بجسد المسيح أُبطِلَ الفساد وسطع عدم الفساد من القبر**» (فقرة: ١).

فالنقطة الأساسية هنا أنه لو انفصل اللاهوت عن الناسوت لأصبح:

١) موت المسيح موتاً ذاتياً له، لا يحقق أي شيء للإنسانية، ولا له هو شخصياً؛ لأنه لم يكن محتاجاً إلى الموت.

٢) يظل الجسد بلا تجديد، وتظل النفس بلا إمكانيات الاتحاد بالله، والعودة إلى حياة عدم الفساد في الله.

أمَّا إذا انفصلت النفس عن الجسد، وظلت النفس متَّحدة باللاهوت الذي ظلَّ أيضاً متَّحداً بالجسد، وهذا ما يجعل أثناسيوس يقول: ''تم موتنا نحن'' (فقرة: ١٥) (راجع الحاشية رقم ٢ على الفقرة ١٤).

هنا نفهم بشكل جلي كما في «تجسد الكلمة» أن الموت الذي جازه الرب كان موتاً إنسانياً حقيقياً؛ لأنه أدَّى إلى انفصال النفس عن الجسد، ولكن العنصر غير الإنساني هو اتحاد اللاهوت بالناسوت رغم انفصال النفس عن الجسد. هذا الاتحاد سببه قداسة الابن الكلمة وعدم وجود خطيئة فيه؛ لأن الخطية هي مصدر الانفصال. ولكن يهمنا هنا أن نرى زاوية أخرى هامة، وهي أن عذاب المسيح على الصليب كان عذاباً لا يُطاق لأنه كما يقول الرسول: ''حمل خطايانا في جسده على الخشبة'' (١بط ٢: ٢٤)، هذا ما جعل انفصال النفس عن الجسد أمراً ضرورياً ليتم الموت، وليتم حقيقة قيامه مقام الإنسان، إلَّا أن بقاء اتحاد اللاهوت بالنفس حاملة خطايانا، وبالجسد الذي تأثر بهذا، فمات، يجعل آلام المسيح الداخلية أكبر وأعظم من أن يتصورها عقل. إنها تحتاج لعقل إلهي له جسد إنساني حتى يمكن الحديث عنها وإعلانها.

(و) النعمـــــة:

إذا دققنا النظر جيداً، أمكننا أن نجد أن النعمة -كما يشرحها الكتاب- ليست فكرةً عقلية كما هو شائع في أيامنا الحاضرة، وإنما هي بكل تأكيد أحد ثمار التجسد، فهي ''إلهية إنسانية''، أو حسب التعبير السائد عند الآباء لا سيما في القرن الرابع Theandric من إلهي Theos إنسان Andrikos

هذه النعمة نابعة من الاتحاد أيضاً، ولذلك هي Theandric (إلهية إنسانية) **''الذين يقسِّمون المسيح الواحد هم بلا إدراك، أمَّا الذين يقولون بأن اللاهوت ناقص والناسوت ناقص، فهم هراطقة ينكرون التدبير، وبذلك يهلكون. لأن التدبير قد تم فعلاً والحق أُعلن والنعمة اختُبِرَت ...''** (فقرة: ٣). **فالنعمة هي خلاص البشر** (فقرة: ٥) **ومصدر النعمة هو التجسد:** ''اذا لم يكن عدم الخطية قد ظهر في الطبيعة التي أخطأت. فكيف قيل إن الخطية أُدينت في الجسد'' (رومية ٨: ٣)... ولماذا قال الرسول: ''حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً'' (رومية ٥: ٢٠) و لم يكن يشير بذلك إلى موقع جغرافي تزداد فيه النعمة، وإنما قال بوضوح: ''كما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ... هكذا بإنسان واحد يسوع المسيح تملك النعمة ...'' (رومية٥: ١٢)» (فقرة: ٥).

فالنعمة فاضت من التجسد: " أليس من الواضح وبكل يقين أن الطبيعة التي ملكت عليها الخطية هي بذاتها التي فاضت منها النعمة الكثيرة» (رو ٥: ١٧) (فقرة: ٧). والنعمة هي تجديد الإنسانية الذي تم أولاً بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت.

يقول اثناسيوس: **«أعلن عدم موته بموت جسده، وعدم فساده في جسده الذي دفن، وعن انتصاره في جسده الذي جُرِّبَ» وتجديد ذاك القابل للبلى لأن إنساننا العتيق قد صلب معه** (رو ٦:٦) **هذه هي النعمة ...** (فقرة٥: ١٣).

وهذا يجعل إلهية النعمة، وعدم انتمائها إلى الطبيعة المخلوقة، بل إلى الاتحاد

السِّري في تجسد ربنا هو التعليم الصحيح الذي يلقي أضواء كثيرة على الحياة الروحية، وعلاقتها بالثالوث، وعلى أسرار الكنيسة السبعة بشكل خاص.

إلهنا الصالح الذي أحبنا حتى تجسَّد لأجل خلاصنا، يعطينا أن نشترك في حياته وموته وقيامته؛ ليكون لنا نصيبٌ في الحياة الأبدية التي وهبنا إياها مجاناً، ومن أجل غنى محبته. وللثالوث القدوس المجد والإكرام إلى الأبد آمين.

رفاع صوم الميلاد ١٩٨٣

دكتور

جورج حبيب بباوي

ظهور المسيح المحيي[٣٠]

المسيحُ إلهٌ متجسِّدٌ:

١- على الذين لا يعترفون بأن ربنا يسوع المسيح هو (شخصٌ) واحدٌ من الله الآب ومن البشر، أن يخبروننا بمعنى ما هو مكتوب في الانجيل: ''ابن آدم، ابن الله'' (لوقا ٣: ٣٨). وعليهم أيضاً أن يخبروننا، كيف يؤمنون به إلهاً حسبما قيل إنه كائنٌ ''في صورة الله''، وكيف أخذ ''صورة العبد'' (فيلبي ٢: ٧٦)؟ أو كيف يفهمون هذه الكلمات: ''والكلمة صار جسداً وحل بيننا'' (يوحنا ١: ١٤)؟ فالذي قال: ''الكلمة صار جسداً''، هو الذي قال: ''وأعطى حياته لنا'' (يوحنا ٣: ١٦). فهل يفترض هؤلاء أن الكلمة قد تحوَّل إلى جسد، أو أنه أخذ ما يُشبه النفسَ الإنسانية، أو أن له صورةً إنسانيةً بلا جوهر إنسانيٍ، كما ادَّعى الهراطقةُ الآخرون؟ إن كلام الرسول يوحنا الواضح لا يسمح بهذه الآراء مطلقاً، وإنما أخبرنا يوحنا مَن هو (الكلمة) وما الذي اتخذه.

أمَّا ''صورةُ الله''، فهي تعني كمال أُلوهية الكلمة، وكذلك صورةُ العبد هي كمال الطبيعة الإنسانية، وبشكلٍ خاص، العقل أو النفس، وسائر الأعضاء، والحياة النفسية والجسدية الإنسانيةً. وهكذا، مِن فعل ''كانَ''، ندركُ أزليةَ الكلمة. أما فعل ''صار''، فيعني التجسُّد الذي تمَّ حقيقةً، والذي فيه وجودٌ للنفس الإنسانية؛ لأنه بدونها لا يمكن أن يقال إنه ''أخذ صورة العبد''، فالطبيعة الإنسانية لا تكون كاملةً بدون الجوهر أو الكيان العقلي. لذلك، وحسب التعبير الشائع الذي يقال عندما يموت الإنسان، ويصفون به الميت بأنه ''بلا صورة''؛ لأن الصورةَ الإنسانيةَ تنحل عندما تفارِقُ النفسُ الجسدَ، فالنفسُ ليس لها طبيعة

[٣٠] الظهور هو الإعلان، وهي كلمة هامة تعني ما حققه التجسد من إعلان عن الآب والابن والروح القدس.

تتحلل مثل الجسد، ولكنها متى فارقت الجسد، تحلَّلَ الجسدُ.

وهكذا نرى أن بولس يعلن عن الطبيعة العاقلة الإنسانية باستخدامه تعبير ''صورة العبد''، أمَّا يوحنا، فيعلن لنا عن الأداة التي أعلَن فيها الكلمة ذاته، أي الجسد، وبذلك يخبرنا كلاهما عن كمال سر التدبير.

ومن الواضح أن الله الكلمة، الكائن قبل كل الدهور، قبل أن يجيء إلينا، ويحل بيننا، لم يكن له جسد، وإنما كان الإلهُ مع الإلهِ، وكان غيرَ المنظور، ولا زال غير المتألم.

اسمُ «المسيحِ» يشير إلى التجسُّد:

٢- وكذلك أيضاً لا يمكن أن نستخدم اسم ''المسيح'' بدون الاشارة إلى التجسد، لأن الاسمَ يدلنا على الآلام والموت أيضاً، كما يكتب بولس أن المسيح هو ''باكورة الراقدين''، وأيضاً ''المسيح فصحنا قد ذبح لأجلنا''، و»والانسان يسوع المسيح الذي بذل ذاته فديةً لأجل كثيرين'' (١كو ١٥: ٢٠ - ١كو ٥: ٧ - ١تيمو٢: ٥ و٦). فالمسيحُ ليس إلهاً فقط، بل إنساناً أيضاً، ولذلك يقول الرسول أيضاً: ''أُذكر يسوع المسيح المقام من الأموات الذي هو من نسل داود'' (٢ تيمو ٢: ٢٨). ولذلك تُقدِّم الأسفارُ الإعلانَ الكاملَ عنه بواسطة الأسماء المتنوِّعة التي تؤكد أنه غير منظور، ولا يمكن أن نلمسه كإله، أمَّا بعد أن تجسَّد حقاً، فقد صار منظوراً ولمسه كثيرون. ولكنه هو بذاته لا ينقسم بسبب تنوع الأسماء، فهو لا ينقسم إلى شخصين، وإنما هو واحدٌ، هو بذاته وُلِدَ أزلياً من الآب ومن ذات جوهره، واتحد اتحاداً كاملاً بلا انفصال (بالناسوت) حتى أنه عندما تألم حقاً ونفذت فيه الآلام، فإنه هو نفسه يجب أن نعترف به متألماً وغير متألم. فكيف يمكن للكلمة الإله أن يُدعى ''المسيحُ'' قبل تجسُّدِه؟ ولو كان اسمُ المسيحِ خاصاً بأُلوهيته فقط، ولا علاقة له بالتجسد، لَصار من الحتمي أن نستخدم ذَات الاسم: ''المسيح''، للآب والروح القدس، وكذلك أيضاً ننسب

الآلامَ للآب والروح القدس، كما ادَّعى بعضُ الهراطقة. فهل تقولون أنتم بأن الله الكلمة بذاته، الذي هو غير متألم، ولا محسوس، قد تألم ومات قبل أن يتجسد ويتأنس؟!! ولكن كيف يمكن للابن الذي هو واحدٌ مع الآب في الجوهر، ولا ينفصل عن جوهر الآب أن يتألم، وهو كإله، غير متغيِّر، إلَّا إذا كان قد أخذ من أحشاء العذراء إنسانيةً كاملةً، واتَّحد بالصورةِ الإنسانيةِ، وتأنَّسَ، وبذلك يمكن أن يقال إنه تألم كإنسانٍ، وظلَّ غير متألمٍ ولا متغيِّرٍ كإله؟

معنى مَسح يسوع بالروح القدس:

٣– ولنفس السبب أيضاً مُسِحَ بالروح القدس، ليس لأن اللاهوت قد مُسِحَ، أو أنه يحتاج إلى المِسحَةِ، ولكن أيضاً لا يمكن أن تتم المِسحة بدون اللاهوت، فهو كإلهٍ مَسَحَ جسده، وجسدُه هو الذي تقبَّل المِسحة. فمن الواضح أننا لا نستطيع أن نصف الكلمةَ بـــ"المسيح"، بدون الجسد البشري. كما أنه لا يمكن أن يكون هو "المسيح" لو كان قد أخذ جسداً خيالياً، أو شِبه النفس الإنسانية، وإنما أخذ "صورة العبد" بغير استحالة، التي فيها جوهر الحياة الإنسانية، وهذا ما أعلنته صراحةً الآلامُ والقيامةُ والتدبيرُ كله، حسبما هو مكتوب ومُعلَن بكل وضوح.

أفكارُ الهراطقة عن التجسد:

اخبرونا كيف جاء الله وَحَلَّ في الناصرةِ ودُعِيَ ناصرياً؟ لقد فشل الهراطقةُ جميعاً في شرح هذه الحقيقة. وحتى "بولس الساموساطي" الذي يعترف بأن الله من العذراء، وأن الله قد شُوهِد في الناصرة، يخطئ عندما يضيف إلى هذا قوله بأنه "ابتدأ من الناصرة"، أي لم يكن له وجودٌ سابقٌ وأزليٌّ على حلوله في الناصرة. ويخطئ أيضاً بقوله إنه صار في الناصرةِ مَلِكاً؛ لأنه المَلِكُ الأزلي. ورغم أنه يعترف بأن فيه (في المسيح) حَلَّ كلمةٌ من السماء، وحكمةٌ، وأن هذه الحكمة كانت قبل الدهور، إلَّا أنه يخطئ بقوله إنه ابتدأ ولم يظهَر إلَّا في الناصرة. هذا هو كُفرُ

بولس الساموساطي، لأن الابنَ هو الإله الحق وحده، الكائن قبل كل الدهور، وفوق الكلِّ هو والآب وحده.

أمَّا «مرقيان»، و«ماني»، فيقولان بأن الله جاء وسكن بيننا من العذراء، ولكنه جاء بشكلٍ غير محسوس، وغير مُدرَكٍ، ولا يمكن أن يتصل بالطبيعة الإنسانية الساقطة التي خضعت لرئيس الظلمة. ولو اتَّحد المسيحُ بهذه الطبيعة؛ لصَار تحت سلطان رئيس الظلمة، كما أنه لن يكون حراً من الخطية. وحسب كُفرِ هؤلاء، أخذ الابنُ حسب مسرته جسداً خاصاً يشبه جسدنا، ولكنه جاء من السماء ونزل من السماء، فالجسد هو إلهٌ كاملٌ حسب زعمهم.

أمَّا «فالنتينوس»، فقد تكلم عن الآلام ونَسَبَها إلى أقانيم الثالوث؛ لأنه تصوَّر أن الجسد هو جزءٌ من الثالوث، ولم يأخذه الابنُ من العذراء.

أمَّا «أريوس»، فهو يعترف بالجسد فقط، وينكر أُلوهيةَ الابنِ، ويقول إنه عِوضاً عن الإنسان الذي فينا، أي النفس، حَلَّ الكلمةُ في جسدٍ بلا نفس، وبذلك يتجاسر وينسب إلى اللاهوت ذاته الآلام والقيامة من الجحيم.

ولم يكن «سابليوس» يختلف كثيراً عن بولس الساموساطي واتباعه، بل عَبَّر عن نفس الآراء، وكانت له جرأةٌ مثل الأريوسيين في تقسيم جوهر اللاهوت.

وسقطة سابليوس لا تختلف عن سقطة أريوس؛ لأن إنكار التمايز بين الأقانيم، يؤدِّي إلى إنكار أُلوهية كل أقنوم من أقانيم الثالوث.

فإلى أيٍّ مِن هؤلاء تنسبون أنفسكم ومع مَن تتفقون؟ أم ينطبق عليكم القول الشائع عندنا بأنكم ”سلالةٌ مختلطة“؟ عندما رفضّتم اتحاد اللاهوت بالناسوت، وضعتم أنفسكم مع هؤلاء الهراطقة، وعندما أنكرتم كمال اللاهوت وكمال الناسوت، فقد أنكرتم كل ما يخص الله وكل ما يخص الإنسان، وجعلتم من المسيح كائناً وسطاً بين الله والإنسان[٣١]. والذين يقسِّمون المسيح الواحد، هم

[٣١] كان أبوليناريوس يعتقد بأن المسيح ليس الهاً ولا إنساناً، وإنما هو حلقةٌ متوسطةٌ بين الاثنين.

بلا إدراك، أمَّا الذين يقولون بأن اللاهوت ناقصٌ، أو إن الناسوتَ ناقصٌ، فَهُم هراطقةٌ ينكرون التدبير، وبذلك يهلكون؛ لأن التدبيرَ قد تمَّ فعلاً، والحقُ أُعلِنَ، والنعمةُ قد اختُبِرَت، وشَهِدَ الذين اختبروها لحقيقتها.

مَن هو المسيح؟

٤- لماذا تستخدمون أساليب السفسطة؟ لماذا تلجأون إلى النفاق الذي يُظهِر ما لا يُبطن؟ لماذا لا تعترفون علناً بأنه جاء وتجسَّد وأخذ صورة العبد؟ لماذا تقولون: "لقد ظهر كما لو كان إنساناً"؟ لماذا هذا الغموض المتعمَّد الذي يتكرر في كل مناسبةٍ، خصوصاً وعندما تحاولون شرح الإيمان؟ إنكم بكل تهوُّر تحاولون هدم التدبير بقولكم إننا نحن (الأرثوذكس) نعتقد بأن "المسيح إنسانٌ تألَّه". كلُّ هذه المحاولات الباطلة سوف نواجهها بسؤال: كيف تفهمون الكلمات: "في البدء كان الكلمة"؟ وما بعد هذه الكلمات: "أخذ صورة العبد"؟ وأيضاً: "والكلمة صار جسداً"؟ أن شرحَ الهراطقةِ لهذه الكلمات لا يخرج عن هذه التأويلات: إمَّا أن الكلمة إنسانٌ كان مع الله منذ الأزل، أو أنه إنسانٌ له علاقة وثيقة خاصة بالله، أو أن الذي مات وقام من أجل العالم هو إنسانٌ، وهو جزءٌ من العالم، أو حسب زعمكم أنتم، وهو نفسه زعمُ هراطقة سابقين عليكم: أن المسيح إنسانٌ خاطئٌ مثلنا؛ لأنه أخذ طبيعتنا، أو أنه إنسانٌ له مكانةٌ أرفع من مكانة الملائكة، أو أنه إنسانٌ تعبده الخليقة. يا ليتكم تدركون كلمات الرسول إنه هو الرب المتجسد الذي يقول عنه: "بولس عبدٌ ليسوع المسيح" (رو ١: ١). فهو الإنسان الذي صُلِبَ، ولكنه هو ربُّ المجدِ، وهو إنسانٌ بكل حق، ولذلك قيل له: "اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك"، وتأكيد إنسانيته لا يلغي حقيقة أُلوهيته؛ لأنه هو الآتي لكي يدين العالم في اليوم الأخير.

هذا هو خمرُكم المعتَّقِ الذي تقدِّمونه للبسطاء، فيشربون منه ويفقدون وعيهم (حبقوق ٢: ١٣). اسألوا الذين آمنوا مِن اليهود، لعلكم بعد أن تسمعوا

كلماتهم، تخجلون من أنفسِكم بمقارنة أقوالهم بأقوالكم وأقوال الهراطقة. وإذا حصرنا كل الآراء العقائدية للهراطقة، وما توصَّل إليه ذكاؤهم من استنتاجات عقائدية، وجدنا أنها تختلف تماماً عن قاعدة الإيمان في الانجيل[٣٢] وتعليم الرسل وشهادة الأنبياء عن كمال سر التدبير الذي أكمل فينا.

اتحاد الله بالإنسان لتجديده وخلاصه:

٥- والآن اخبرونا، كيف تقولون إن "الله جاء وابتدأ وجوده من الناصرة"، وبذلك تؤكِّدون كُفرَ بولس الساموساطي الذي ادَّعى أن ابتداء اللاهوت كان بالتجسد؟ أو كُفر مارقيون وباقي الهراطقة الذين أنكروا ميلاده بالجسد؛ لأنهم انحرفوا عن طريق الإنجيل وتعليمه المستقيم، واختاروا أن يتكلموا من ذواتهم (راجع يوحنا ٨: ٤٤)؟ إن قصدكم الواضح من هذه العبارة: "الله وُلِدَ من العذراء"[٣٣] يَظهَرُ من عدم اعترافكم بأنه الإله المتأنس، حسب قاعدة الإيمان في الإنجيل، ولذلك، فأنتم رغم اعترافكم بميلاده بالجسد، إلَّا أنكم لا تعترفون بأن الله قد أخذَ، بميلادِه، جسداً حقيقياً، وإنما تعترفون بأنه أظهر جسداً خاصاً به، ليس إلَّا خيالاً أو ظهوراً.

إن الله لم يبدأ وجوده من الناصرة، بل هو كائنٌ قبل كل الدهور، والله الكلمة قد ظَهَرَ في الناصرة عندما تجسَّد ووُلِدَ من العذراء القديسة مريم بالروح القدس في بيت لحم اليهودية، ومن نسل داود وإبراهيم وآدم، كما هو مكتوب، وأخذ من العذراء كل ما سبق الله وصوَّره في البدء وجعله للإنسان، ولكن بلا خطية. وعن هذا يقول الرسول: "في كل شيء مثلنا ولكن بلا خطية" (عبرانيين٤: ١٥).

---

(٣٢) قاعدة الايمان في الانجيل، أو HOROS هي المضمون العقائدي لكل ما في العهد الجديد، وهي التسليم الرسولي الخاص بكل جوانب الإيمان المسيحي.

(٣٣) واضحٌ أن العبارةَ صحيحةٌ، ولكنها تستخدم هنا في إطار سوء النية الذي يقوم على اعتبار أن الولادة ابتداءٌ لكيان الابن الإلهي، وليس تجسده.

والتجسُّد، ليس تحوُّلاً في جوهر اللاهوت، وإنما هو تجديدُ الإنسانية حسب إرادته، وذلك لكي ''يصير الأمم من ذات الجسد ويشتركون في المسيح'' (أفسس ٣: ٦). وكذلك يكتُب الرسول: لكي يصير الإنسانُ إلهاً[٣٤]. ولكن هذا لن يتحقق إلَّا إذا صار الله إنساناً بكلِّ حق، ويبقى الإله الكامل والإنسان الكامل. أمَّا الادِّعاءُ بأنه ''إنساناً صار مع الله''، حسب تعبيركم الرديء، فهذا يقضي على سر تقوى المسيحيين (١ تيمو ٣: ١٦). وإنما الحقُّ هو إن الإله الابن الوحيد بكمال وملء أُلوهيته، قد سُرَّ أن يأخذ لذاته من أحشاء العذراء، وبميلادٍ طبيعيٍّ، واتحادٍ لا انفصالَ فيه (أن يأخذ) الطبيعةَ الإنسانيةَ التي خُلِقَت في البدء، وأن يجدِّد هذه الطبيعة؛ لكي يؤسِّس خلاص البشر بالآلام والموت والقيامة.

العقل والفكر الإنساني لم يكن خاطئاً أصلاً:

٦- أنتم تقولون: «إذا كان قد أخذ ناسوتاً كاملاً، فبكلِّ يقين، كانت له أفكارٌ إنسانية، ولكن من المستحيل أن تكون الأفكار الإنسانية خاليةً من الخطية، وكيف يصبح المسيح في هذه الحالة بلا خطية''؟ اخبرونا، إذا كان الله هو خالق العقل والأفكار التي تقود إلى الخطية، فإننا يجب أن ننسب هذا لله؛ لأن خليقة الله، هي ما خلقها وصوَّرها بنفسه، وهو المسؤولُ عنها. وفي هذه الحالة، يصبح ظلماً أن يُحاسِب الخطاةَ؛ لأنه إذا كان الله خالقَ الأفكارِ، فكيف يُحاسِب الخطاة؟ وإذا كان آدم خاضعاً للفكر الشرير قبل عصيانه الوصية، فكيف قيل إنه لم يكن يعرف الخير من الشر؟ لقد خُلِقَ بطبيعةٍ عاقلة، وبفكرٍ حُرٍّ لا يعرف الشرَّ، وإنما كان يعرف الخيرَ فقط، فكان كائناً فريداً (مزمور ٦٨: ٧س)، ولكن عندما عَصى وصية الله، فقد خضع للأفكار التي تقوده للخطية، ليس لأن الله هو الذي خلق الأفكار نفسها التي قادته أسيراً، وإنما بخدعة الشيطان، زرع الشيطانُ هذه الأفكارَ في الطبيعة العقلية للإنسان التي عَصَت وابتعدت عن الله، وهكذا غَرَسَ

---

[٣٤] من الواضح أن القديس أثناسيوس يشير إلى رو ٨: ٢٩ - ٣٠؛ لأن مشابهة الابن لا يمكن أن تتم إلَّا إذا نال الإنسان «مجد الابن»، أو «مجد جسده» (فيلبي ٣: ٢١)، والمُعلِّم يشير هنا إلى خلاصة التعليم الرسولي.

الشيطانُ في طبيعة الإنسانِ ناموسَ الخطيةِ والموت الذي يملك من خلال الأعمال الخاطئة (رومية ٧: ٢٣ و٧). ولذلك السبب جاء ابنُ الله لكي ”يبيد أعمال الشيطان“ (١ يوحنا ٣: ٨).

كيف أباد أعمال الشيطان؟

أنتم تقولون: «إنه أباد أعمال الشيطان لأنه لم يخطئ“[٣٥] ولكن هذا ليس إبادةً للخطيةِ بالمرة. فالشيطان لم يصنع الخطية أصلاً قبل خلق الإنسان، وعندما خُلِقَ الإنسان في العالم، لم يخطئ الإنسان[٣٦]. وابتعاد الإنسان عن الخطية لا يمكن أن يُعتبَر إبادةً لِمَا صنعه الشيطان. وإنما قدَّم الشيطانُ الخطيةَ إلى طبيعة الإنسان العقلية، وزَرَعَ فيها الخطية. وكان من المستحيل على هذه الطبيعة العقلية التي أخطأت بإرادتها الحرة، فوقعت تحت عقوبة الموت، أن تعود إلى الحرية، كما يقول الرسول: ”لأن ما كان الناموس عاجزاً عنه إذ أنه كان ضعيفاً بسبب الجسد“ (رومية ٨: ٣)؛ لذلك جاء ابن الله لكي يجدِّده في طبيعته[٣٧]، ويمنحه بدايةً جديدةً ميلاداً ثانياً عجيباً، وليس بتقسيم الطبيعة الإنسانية، تاركاً العنصر الذي أفسده الشيطان تحت سيادة الشيطان، وإنما بالقضاء التام على العنصر الذي خَلَقَ تناقضَ الإنسان مع الله، فخَلَقَ له النقيض، فأباد ما زَرَعَه الشيطان في (الطبيعة الإنسانية)، وكما يقول شاهداً على ذلك: «قبل أن يعرف الصبي الخير من الشر“ (أشعياء ٧: ١٦)، فرفض الشَّرَّ لكي يختار الخير. ولكن إذا لم يكن عدم الخطية قد ظَهَرَ في الطبيعة التي أخطأت، فكيف قيل إن الخطية ”أُدينت في الجسد“ (رومية ٨: ٣)، إذا كان هذا الجسد غير قادر على التصرُّفِ[٣٨]، واللاهوت لا يعرف الخطية؟ ولماذا قال الرسول: ”حيثما كثرت الخطية، ازدادت النعمة جداً“ (رومية ٥: ٢٠)، ولم يكن

---

[٣٥] لم يخطئ، أي لم يكن له طبيعة إنسانية أصلاً.

[٣٦] الخلق ليس هو سبب الخطية، ولا هو سبب السقوط، بل الخطية هي ابتعاد الإنسان عن الله.

[٣٧] الطبيعة Physis هي كيان الابن الإلهي أو شخصه كما يظهر في مقالة اثناسيوس عن المجامع: ٥٢.

[٣٨] أي بلا عقل وفكر بشري.

يشير بذلك إلى موقع جغرافي تزداد فيه النعمة، وإنما قال بوضوح: ''كما بإنسانٍ واحدٍ دخلت الخطيةُ إلى العالم وبالخطية دخل الموت، هكذا بإنسانٍ واحد يسوع المسيح تملُكُ النعمةُ بالبر للحياة الأبدية'' (رومية ٥: ١٢)؟ وهكذا، بالطبيعة التي دخلت بها الخطية إلى العالم، هي بذاتها التي يظهر منها البر، وبذلك وحده تُباد أعمال الشيطان بتحرير الطبيعة الإنسانية من الخطية.

المسيحُ إلهٌ تجسَّد ليخلِّصَ الذين يؤمنون:

٧- ولكن أنتم تقولون أيضاً: «إذا كان المسيحُ إنساناً، فهو جزءٌ من العالم، وجزءٌ من العالم لا يستطيع أن يخلِّص العالم، يا للضلال والتحريف الجنوني[٣٩]!! يا ليتهم يقولون لنا مِن أيِّ سِفرٍ من أسفار الكتاب المقدس أخذوا هذا القول السفسطائي الشيطاني، لأن النبي يقول: ''الأخ لا يفدي أخاه، ولكن إنساناً سوف يفدي'' (مزمور ٤٩: ٨س)، وفي موضع آخر: «إنساناً وُلِدَ فيها العلي الذي أسَّسها'' (مز ٨٧: ٣س). فكيف إذن صار المسيحُ إنساناً لكي يخلص العالم؟. أليس من الواضح وبكل يقين أن الطبيعة التي مَلَكَت عليها الخطيةُ، هي بذاتها التي فاضت منها النعمة الكثيرة (رو ٥: ١٧)؟ وهذا يعني أن الكلمة ظلَّ إلهاً وتجسَّد وتأنس، لكي نؤمن به إلهاً وإنساناً، وهكذا نؤمن بأن المسيح هو الإله الذي أخذ صورة الإنسان، لكي يخلِّص الذين يؤمنون، ويتم القول: «إذا اعترفتَ بفمك أن يسوع ربٌّ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأمواتِ، خَلُصت'' (رو ١٠: ٩). والواقع أن الله غيرُ قابلٍ للموت، ولا هو محتاجٌ للقيامة؛ لأنه هو الذي يقيم الموتى، ولذلك صار من الضروري أن يكون لله شيءٌ يقدِّمه (عبرانيين ٨: ٣) لأجلنا في الموت وفي الحياة، وهكذا بتأنُّس الكلمة، أمكنه أن يخلصنا.

---

[٣٩] يوجد هنا في الأصل اليوناني نوع من الايقاع يشبه السجع في اللغة العربية ولذلك النص هو ''هذه الفكرة تعني انك بلا عقل أو مجنون'' epinoio, aponoia.

النَّفسُ غير الجسم:

٨- ولكنكم تقولون: ''كيف تستطيع الطبيعة التي تعوَّدت على الخطية، وورثت[٤٠] الخطية أن تصبح بلا خطية، ومِن هذه الزاوية بالذات، يصبح من المستحيل أن يصبحَ المسيحُ إنساناً''؟ هذا ما علَّم به مارقيون مِن قبل، وهذا بدوره، هو خُلاصة تعليم ماني الذي جعل الجسدَ، وكذلك تناسُلَ الإنسانِ تحت سيطرةِ إله الشّرِّ الذي يسمُّونه خالق الشّرِّ. ويؤيدون قولهم باقتباس كلمات الرسول بطرس: ''ما انغلب منه إنسانٌ صار له مستعبداً'' (٢ بطرس ٢: ١٩).

هذه هي آراءُ الهراطقة التي تجدِّدونها أنتم، والتي تؤكِّدونها بطريقةٍ أخرى بالنسبة ''للطبيعة العقلية للإنسان، أي النفس''، وتؤكِّدون أنها غير قادرة على تجنُّب الخطية، وهذا بدوره ما جعلكم تصِفون «النفس بأنها جسدٌ». وما هي القاعدة التي تستندون عليها وتؤيدون بها وجهة نظركم؟ أنا لا أعلم؛ لأنني لا أجد ما تقولونه في الأسفار المقدسة، ولا في أي شيءٍ قيل عن الإنسان خصوصاً قول الرب: ''لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولا يقدرون على قتل النفس'' (متى ١٠: ٢٨). وإذا كانت النفس كما تقولون أنتم جسدانية، فلماذا لا تموت وتتحلل مع الجسد؟ وأيضاً لماذا سَمَّى بطرسُ النفوسَ الأسيرةَ في الجحيم ''بالأرواح''، قائلاً: إن المسيحَ ذَهَبَ فكرز بخبر القيامة السار ''للأرواح التي في السجن'' (١ بط ٣: ٢٠)؟ ولكن أنتم تصِفون كلَّ شيءٍ بعبارة ''ضد الطبيعة''، لكي تفلتوا من الأمور الطبيعية في التدبير، فتضطرون للاعتراف بالحق، وبأن الكلمة حقاً صار جسداً.

معنى «منذ حداثته»:

ولقد قلتم من قبل إن صوتَ الله هو الذي يقول ''عقلُ الإنسان'' ميالٌ للخضوع للشيطان منذ حداثته'' (الترجمة اليونانية لتكوين ٨: ٢١)، دون أن

---

[٤٠] الكلمة اليونانية Diadochin تعني خلافة أو وراثة أو نقل .. الخ.

تدركوا أن عبارة "منذ حداثته" تعني ما يُزرَعُ بعد الولادة، وهو ما هو زائلٌ. ومن أجل ذلك أقسمَ الربُّ قَسَمَ أمانةٍ لداود إنه "مِن ثمرة جسدك سوف يُقيم المسيحَ حسب الجسد" (أعمال ٢: ٢٠)، وهذا لا يعني بالمرة أننا سنراه كما لو كان اللاهوت قد تحوَّل إلى ناسوتٍ، ولو حدث هذا، فما هو الداعي لأن يُقسِم الرب لداود؟ ولكنه عندما أخذ صورةَ العبدِ، خَضَعَ للميلاد من امرأةٍ، وللنمو في القامة مثلنا (غلاطية ٤: ٤ — لوقا ٢: ٢) كما يقول الرسول: ولأن الأولاد شركاءِ في اللحم والدم، هكذا اشترك هو أيضاً فيهما (عبرانيين ٢: ١٤). و»هكذا»، تشير ليس إلى ولادته من زرع بشرٍ، بل من الروح، حيث نال جسداً مثل أجسادنا وليس من مصدرٍ آخر، بل من نسل داود وإبراهيم وآدم كما هو مكتوب.

ربُّ المجدِ:

٩– إذا كنتم تقرأون الأسفار المقدسة، إعلانات الحق، فلماذا تقولون إنه لم يظهر كانسان بإرادته، وعندما أخذ كياناً إنسانياً، فإنه فقط التصق بإنسان[٤١] وتقولون أيضاً: "كيف يمكن أن يصبح إنساناً، وبعد ذلك نعتبر أن الذي صُلِبَ هو ربُّ المجد؟".

فإذا سمعتم بطرس يقول: "يسوع هذا الذي أنتم صلبتموه، قد جعله الله ربّاً ومسيحاً" (أع ٢: ٣٦)، فإلى مَن تشيرون في فهمكم لكلمة "جعله"؟ إذا كانت الإشارةُ إلى أُلوهية الكلمة، فلماذا تلومون الأريوسيين ما داموا يفكرون مثلكم؟ وإذا كانت الإشارةُ إلى صورة العبد التي أخذها الكلمة، فلماذا تناقضون

(٤١) هنا نرى بوضوح كيف صارت هرطقة أبوليناريوس هي بدايةً للهرطقة النسطورية، ذلك أن القديس غريغوريوس النيسي يقتبس نصاً في غاية الأهمية عن أبوليناريوس: "لقد التصق Cunifthi الله بإنسان، وهذا يعني وجود اثنين، واحدٌ هو الابن بالطبيعة، والآخر هو ابنٌ بالتبني Antirrhe"، وهذا ما كتب ضده القديس كيرلس السكندري، وهو بداية الجدل حول فكرة الالتصاق أو المصاحبة Cunifthi بين اللاهوت والناسوت كتعريف مضاد تماماً للتجسد القائم أصلاً على الاتحاد (ضد نسطور مقالة١: ٢ وكل كتاب المسيح واحد للقديس كيرلس).

أنفسكم؟ ولكن، ليس هذا إيمانكم لأنكم تقولون: «إذا كانت الطبيعة التي أخطأت، لم تعد تخطئ عندما صارت كائنةً في الله، فهذا يعني أنها صارت تحت ضغطٍ بسبب ضرورة وجودها في الله، ولكن ما هو تحت الضغط هو في الحقيقة تحت القهر والإكراه».

المسيحُ حطَّم ناموسَ الخطيةِ وسبى الشيطان:

اخبرونا: هل عدم الخطية هو حالةٌ تنشأ من الضرورة والقهر؟ إذن، الخطية هي حالةٌ طبيعيةٌ، عندما لا توجد ضرورةٌ، وهذا يعني أنكم توافقون على أن خالق الطبيعة هو مصدر الخطية ومصوِّرُها. أمَّا إذا كانت هذه الكلمات تجديفاً، فالخطيةُ تنشأ من قوةٍ مؤثرةٍ قاهرةٍ وخارجيةٍ، ويصبح عدمُ الخطية هو في الطبيعة. ولذلك، لم يكن بالقهر وبالضرورة، أن صورةَ العبدِ لم تخطئ عندما رأيناها في ألوهية الله الكلمة، وإنما هو قد حطَّم حاجزَ القهرِ والضرورةِ "ناموسَ الخطية" (رومية ٧: ٢٣)، وأخذ المستبدَ صاحبَ الأسرِ، أسيراً كما يقول النبي: «صعدت إلى العلا وسبيت السبي نفسه» (مزمور ٦٨: ١٩ و٢٠). فالكلمة تقدَّم بصورة العبدِ، ونازَلَ العدوَّ وأحرزَ النصرَ بذلك الذي سبق أن هُزِمَ. ولذلك مَرَّ يسوعُ بكل صوَرِ التجارب كاملةً؛ لأنه أخذ الذي يمكن أن يجوز التجربة[٤٢] وبكل هذه أحرز النصر للإنسانية قائلاً: «افرحوا أنا قد غلبت العالم» (يوحنا ١٦: ٣٣). فالشيطان لم يحارب اللاهوت الذي لا يعرفه[٤٣]، بل لم يكن يجسر على ذلك، وهو ما جعله يقول: «إن كنت أنت ابن الله ...» (متى ٤: ٣)؛ لأنه بالنسبة للإنسانِ، فقد كان قادراً على إغرائه وإخضاعه، ومنذ سقوط آدم وجَّه الشيطانُ ضد كل الجنس البشري أسلحةَ شَرِّهِ. ونفسُ آدم سُجِنَت، وصارت تحت حكم

---

[٤٢] يعني أثناسيوس النفس والعقل وهما العنصر الذي دخلت به الخطية إلى العالم.

[٤٣] توجد عبارات كثيرة عند الآباء تؤكد أن الشيطان كان يجهل أُلوهية الابن، ولعل أقدمها على الإطلاق ما جاء في رسالة أغناطيوس إلى أفسس: "أمَّا رئيس هذا العالم (الشيطان) فقد جهل بتولية مريم وميلادها، وكذلك موت الرب. إن ثلاثة أسرارٍ مدوِّيةٍ تمَّت في صمت الله" (فقرة ١٩: ص ٣١ تعريب جورج حبيب بباوي).

الموت، وكانت تصرخ لربِّها، ومعها صرخَ كلُّ الأبرارِ الذين أرضوا الله وتبرَّروا حسب الناموس الطبيعي[٤٤]، والكلُّ كان في الأسرِ مع آدم يبكون وينوحون معه. فأشفق اللهُ على الإنسان الذي صنعه وسَرَّ بأن يعلِن السِّرِّ الذي يتضمن خلاصَ البَشَرِ، والقضاء على العدوِّ الذي خَدَعَ الكلَّ بالجسد، فأعلن الربُّ مجدَ الإنسانِ الفائقِ الذي لا يمكن إدراكه، وذلك بالاتحاد والشركة بالحق وفي الطبيعة الإلهية لله العلي.

تجسَّدَ ليعطي الحياةَ للإنسان:

١٠– من أجل ذلك تجسَّد الكلمةُ وتأنَّس، وهو الإله وصانعُ الإنسانَ؛ لكي يعطي الحياةَ للإنسان، ولكي يُبيد العدو الظالم، فوُلِدَ من امرأةٍ، وجدَّد في ذاته صورةَ الإنسان كما خُلِقَت في البدء، وذلك بالظهور بجسدِهِ الخالي من الشهوات والأفكار الجسدية، وصار مثالَ التجديد. والإرادة الإلهيةَ الخاصة بالكلمة الإله كانت أيضاً في صورة العبد؛ لأن ملء اللاهوت حَلَّ عندما تجسَّد وظَهَرَ كآدم الثاني، دون أن ينقسم إلى شخصين، وإنما تمَّ اتحادٌ حقيقيٌّ بين اللاهوت والناسوت، ولذلك السبب، اقتربَ الشيطانُ من يسوع كإنسانٍ، ولكنه لم يجد فيه ملامحَ الإنسان القديم، ولا الزرع الذي زَرَعَه في الانسان، ولذلك لم ينجح في تجاربه، فهُزِمَ واندحرَ في اضطرابٍ وعجزٍ، فسأل: «مَن هذا الآتي من أدوم»، أي مِن أرض البشر، و«يسيرُ بقوة» (أشعياء ٦٣: ١)؟ لذلك قال الربُّ: «رئيس هذا العالم آتٍ ولن يجد شيئاً فيَّ» (يوحنا ١٤: ٣٠)، رغم أننا تسلَّمنا وتعلَّمنا أن آدم الثاني كان له نفسُ آدم الأول وجسده وكل ما يخصَّه. وما ذكره الرب بقوله: «لن يجد شيئاً فيَّ»، تشير إلى كيانه الإنساني كله والحقيقي، ولا

[٤٤] يؤكد أثناسيوس أن معرفة الله هي عطيةٌ فائقةٌ، يعلنها الله (تجسد الكلمة: ١١) ويؤكد بدوره أن الأبرار الذين عاشوا بالناموس الطبيعي حسب (رومية ٢: ١٤) قد تبرروا بمعرفتهم للخالق، ولكنهم مع ذلك، كانوا تحت سلطان الموت، لأن عدم الموت هو عطيةٌ فائقةٌ للطبيعة. وقد استقر هذا الاتجاه في كتابات آباء الاسكندرية منذ زمن أوريجينوس (ضد كلسوس٥: ٣٧)، وراجع ايضاً (خاتمة الرسالة للوثنيين لأثناسيوس).

يشير فقط إلى جسدِهِ المنظور، وكيف يمكن أن يكون هذا عن جسده فقط؟ لقد جاء الشيطانُ وجَرَّبَه و لم يجد ''فيه'' الأشياءَ التي سبق الشيطانُ وعَرَضَها على آدم الأول وزَرَعَها فيه، وهكذا أُبيدت الخطيةُ بالمسيح. وهذه هي شهادة الأسفار عنه: «لم يُخطئ ولا وُجِدَ في فمِه غشٌّ» (١ بط ٢: ٢٢).

متى نال الإنسانُ التجديد؟

١١- لماذا تقولون: ''من المستحيل أن يتحرر الإنسان الذي تمَّ أسره''؟ هل تنسبون العجز إلى الله والقدرة إلى الشيطان؟ ولماذا تقولون ما يقوله الهراطقة الآخرون بأن الخطية لم ولا يمكن أن تُباد بواسطة طبيعة البشر، وإن اللاهوت الذي لم يُستَعبَد (يُسْبَ)، جاء في «شِبه» النفس والجسد، لكي يظل اللاهوتُ بعيداً عن مجال السبي، وبذلك يعلِنُ البِرَّ علانيةً؟

والسؤال هو: متى كان بِرُّ الله غيرُ علنيٍّ؟ أليس بِرُّ الله علنياً؟ وهل استفاد الإنسانُ ونال التجديدَ إلَّا عندما أخذ الربُّ طبيعةً مماثلةً لطبيعتنا، فجدَّدها، وبذلك أظهَرَ التجديد الذي قال عنه الرسول: «الطريق الذي جعله جديداً لنا حديثاً وحياً»، بقوله: «أنا هو الطريق والحياة والحق» (عبرانيين ١٠: ٢٠ - يوحنا ١٤: ٦)؟ ولكنكم تقولون: «إن الذين يؤمنون يخلصون بالتشبُّهِ والمحاكاة[٤٥] فقط، وليس بالاشتراك في التجديد، وفي باكورة الثمار». ونحن بدورنا نسألكم: لماذا صار المسيحُ هو رأس الجسد الكنيسة، والبكر بين أخوة كثيرين وباكورة الراقدين؟ (كولوسي ١: ٨ — رومية ٨: ٢٩ - ١ كورنثوس ١٥: ٢٠).

---

(٤٥) من الواضح أن الاتجاه الروحي للهراطقة الأبولينارية هو اتجاهٌ اخلاقيٌ، فقط دون أن يكون له أي أساس لاهوتي قائم على الشركة السرية بين المسيح والمؤمنين. ومن هذه الزاوية بالذات يعتبر أبوليناريوس أيضاً رائد الاتجاه البيلاجي Pelagian الذي تزعمه بيلاجيوس والذي يقوم على إنكار النعمة الإلهية وعملها في تجديد الإنسان.

الإيمان الحقيقي:

إن الايمان الذي يعتمد على المحاكاة والتشبُّه بما هو ممكن، ويجعل غايته ما هو ملموسٌ وظاهرٌ فقط، لا يمكن أن يُدعى إيماناً. ولكن الإيمانَ هو الاعتقادُ بأن المستحيلَ ممكنٌ أن يتم، وأن العاجزَ ينال قوةً، وأن المتغيِّرَ ينال الثبات، وأن الفاسدَ ينال عدمَ الفساد، وأن المائتَ يصيرُ خالداً. وهذا ما يقوله الرسول: "هذا السِّرُّ عظيمٌ، ولكنني أتكلم عن المسيح والكنيسة" (أفسس ٥: ٣٢). فاللاهوتُ لم يتبرر لأنه لم يخطئ، ولكن "الغني افتقر لأجلنا لكي نصير نحن بفقره أغنياء" (٢كورنثوس ٨: ٩). ولقد تمَّ هذا عندما أخذ الطبيعة التي صارت فقيرةً، واحتفظ ببره الشخصي، فقدَّم هذه الطبيعة لكي تتألم عوضاً عن كل البشر، بينما هي أسمى من البشر، وأُعلِنَت كطبيعةٍ إنسانية حقيقية، ولكنها كانت كلها لله. وإذا كان لم يولَد، فكيف صار بكراً من بين الأموات؟[٤٦]

كيف يمكنكم أن تقولوا –معترضين (على عبارة) "الإله الذي تألم وقام من الموت بالجسد"، يا لفظاعة التجديف والعبارات الغامضة: إن هذه اللغة الوقحة هي لغة الأريوسيين، لأنهم بلا خجلٍ قد أقدموا على هذا التجديف، وتجاسروا على أن يسمُّوا ابن الله، إلهاً دون أن يكون لهذه الكلمة أي معنى حقيقي عندهم، بينما تعلِّمنا الأسفار أن الآلام حدثت في جسد الله دون أن يتألم اللاهوت بآلام الجسد.

المسيحُ غيرُ متألمٍ كإله، ولكنه تألم لأنه تأنَّس:

١٢– كيف تستطيعون أنتم الذين تدَّعون التمسُّك والاعتراف بالمساواة بين الابن والآب في الجوهر، أن تهينوا اسمه وأن تُنقِصوا من قدره الإلهي، وأن تنسبوا إليه الآلام؟ كيف تُحِطُّون من كرامته الإلهية وتقولون إن اللاهوت قام حياً

[٤٦] راجع المقالات ضد الأريوسيين١: ٦٠ – ٣: ٣٢ – الرسالة إلى ابكتيتوس: ٦ (تعريب الاستاذ صموئيل كامل والدكتور نصحي عبد الشهيد ديسمبر ١٩٨١) والفصل الثاني عشر من فصول القديس كيرلس ضد نسطور.

وتنسبون الآلام والقيامة إلى اللاهوت غير المنقسم وغير المتغيِّر، وإلى ذاك الذي لا ينطق بمساواته للآب؟ وإذا كان الابنُ صار جسداً، واتَّخذ لذاته جسداً له طبيعةٌ إلهيةٌ، فهذا لا يختلف بالمرة عن القول بأنه هو ذاته كإله، كان متألماً ومات وقام، وبذلك صارت الآلام عامةً للثالوث، كما ادَّعى فالنتينوس؛ لأنه لا يمكن فصل طبيعة الابن الإلهية عن الآب. وإذا انحرف فكركم إلى هذا الاتجاه، أصبح من الضروري أن نسألكم كيف تفهمون مواعيد الأنبياء الخاصة بالخلاص، وسلسلة إنساب الأناجيل، وشهادة الشهداء، والإشارة إلى مريم والدة الإله، والنمو في القامة، ورؤيته وهو يأكل الطعام ومشاركته ورثائه لأسقامنا (عبرانيين ٤: ١٥)؟ ويجب أن نضيف إلى هذا أيضاً ما يُنسَبُ لأسمه الواحد مثل قولنا: بأن ابن الله صار ابن الإنسان ''الانسان يسوع المسيح الذي قدَّم ذاته كفارةً لأجلنا'' (١ تيموثاوس ٢: ٥)، أو ''ابن الإنسان يجب أن يتألم كثيراً، ويُقتَل ويقوم في اليوم الثالث'' (مرقس ٨: ٣١). **وإذا كنتم لا تؤمنون بأن المسيح تألم لأنه تأنس، وغير متألم لأنه إلهٌ، وضيَّقنا عليكم القول، وأجبتم علينا بأنه لو اعترفنا بأن المسيح إلهٌ وإنسانٌ، فإن هذا يعني أنه "ليس واحداً بل اثنين»، فإن جوابنا على قولكم هو إنكم بالضرورة تتبعون مارقيون وباقي الهراطقة؛ لأنكم إمَّا أنكم تدَّعون بأن تدبير الآلام والموت والقيامة هو مجرد خيال، أو أنكم مثل الأريوسيين وأتباعهم تدَّعون بأن لاهوت الكلمة تألم**".

١٣- إذا قرأتم الأسفار الإلهية، فسوف تلاحظون على الفور، كيف يُدعى الربُّ إنساناً في الناموس والأنبياء والأناجيل وباقي كتابات الرسل، وبعد ذلك (يرد ذِكر) آلامه. ولكي نفحم هؤلاء ونمنعهم من التجديف تماماً على لاهوت الكلمة، نقول لهم إن الاسفار لم تذكر شيئاً عن سلسلة إنساب أُلوهية الكلمة، وإنما تعلِن الآب، وتبشِّر بالابن، وتعترف به أنه المسيح الذي وُلِدَ من مريم كابنٍ لداود حسب الجسد؛ لأنه أخذ صورةَ العبد، أي ناسوته الذي نؤمن بأنه أخذه منَّا نحن البشر، **ولكننا نعترف به أنه الكلمة الله الذي من الله الآب، والذي احتمل الآلام عوضاً عن البشر في صورة البشر التي قَبِلَها من البشر، وأعلنَ عن عدم آلامه أيضاً**

في ذات الجسد الذي تألم، وأعلنَ عن عدم موته بموت جسده، وعن عدم فساده في جسده الذي دُفِن، وعن انتصاره في جسده الذي جُرِّب، وتجديده لذاك القابل للبلى؛ لأن «إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه» (رومية ٦: ٦).

هذه هي النعمة، ولا يوجد في أيِّ موضعٍ في الأسفار أن اللاهوت تألم، دون أن يكون الكلام عن آلام جسده، كما أنه لم ييئن ولا تضايق ولا حزن إلَّا بما أحسَّت به النفسُ من أحزان وآلام، كما أنه لم يشعر بالحزن الشديد إلَّا عندما اشتد عليه الحزن وغَمَرَه، فصلَّى معبِّراً عما كان في عقله. وبكلِّ يقينٍ، إن كل ما ذكرناه لم يحدث ولم يَمَس طبيعته (لاهوته)، إلَّا أن ما حدث كانٍ حقيقياً. فلماذا تكتبون وتدَّعون بأن "الله تألم وقام بواسطة الجسد"، ولو أن الله تألم وقام بالجسد، فإن هذا يعني أن الآب والبارقليط قد تألم؛ لأن لجوهر اللاهوت اسمٌ واحدٌ، والطبيعة الإلهية للثالوث هي طبيعةٌ واحدةٌ.

شهادة الكتب المقدسة عن التجسد:

١٤- من تعبيراتكم السابقة نفهم أنكم تُضلِّون لأنكم لا تخافون الله، ولا تطيعون الأسفار الإلهية؛ لأن موسى كتب عن الله "إلهنا نارٌ آكلة" (تثنية ٤: ٢٤)، أمَّا عن مجيئه إلينا في الجسد، فإنه يتكلم عن إنه سوف يقوم "نبياً من بين اخوتكم" (تثنية ١٨: ١٨)، وإن حياته "سوف تعلَّقُ على الخشبة" (تثنية ٢٨: ٢٨ — غلاطية ٣: ١٣)؛ لأن جسد الرب سوف يعطي لنا حياةً[٤٧]. وأشعياء يصرخ معلناً إن الله هو "الإله العظيم الأبدي الذي ثبَّت أقاصي الأرض، لا يجوع ولا يتعب" (أشعياء ٤٠: ٢٨)، أمَّا عن آلامه فيقول: "ضُرِبَ لأجلنا ... وتحمَّل أوجاعنا وعَرِفَ كيف يحملُ أسقامنا" (أشعياء ٥٣: ٣). وما معنى أنه "عَرِفَ كيف يحمل أسقامنا؟

[٤٧] يبدو من القراءة الدقيقة للنص اليوناني أن القديس اثناسيوس يكتب العبارة المشهورة من القداس الكيرلسي المرقسي والتي تظهر بعد استدعاء الروح القدس. والتطابق اللفظي ظاهرٌ بكل وضوح: "ويعطي لنا حياة eis zween hemin genomenon وعبارة القداس: "وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح. وهذه الكأس أيضاً دما كريماً لعهده الجديد" Ina genwntai Pacin hemin "لكي يكونا لنا جميعاً الآخذين ... حياةً zwees .... eis koinwnian.

إنها تعني ما تألم به، أي القابل للآلام، وما أخذه، أي جسده. وعن هذا يقول النبي أيضاً: ”وقال لي الرب خُذ لنفسك لوحاً جديداً واكتب عليه بقلم إنسان“ (أش ٨: ١س)، أي ارسم صورةَ إنسانٍ كاملٍ، وهذا لا يعني جسداً بلا نفسٍ إنسانية. ويقول الرسول: ”الإنسان يسوعَ المسيحِ الذي بذل نفسه“ (١تيمو٢: ٥ – ٦). وكذلك أيضاً العبارة: ”من نسل داود حسب الجسد“، يضيفها الرسول مؤكِّداً بها القيامة (رو ١: ٣). أمَّا عن لاهوته، فيقول: «إن كلمة الله حيٌّ وقادرٌ وأمضى من كل سيف ذي حدين“ (عب ٤: ٢). وكثيراً ما أشار الربُّ إلى أن آلامه ستكون حسب الجسد، أمَّا عن أُلوهيته، فيقول: ”أنا والآب واحد“، و”لا أحدٌ يعرف الآب إلَّا الابن، ولا الابن إلَّا الآب وحده“ (يو١٠: ٣٠ – لو١٠: ٢٢). ولا يوجد موضعٌ واحدٌ في كل الأسفار الإلهية استخدمت فيه الأسفار عبارة: ”دم الله“ بدون الإشارة إلى التجسد، أو إلى آلام الرب وإلى قيامته حيًّا بالجسد. إن أقوالكم هي الأقوال الوقحة التي سبق واستخدمها الأريوسيون؛ لأنهم لا يعترفون بأن ابن الله هو إلهٌ حق.

أمَّا الأسفار المقدسة، فهي تتحدث صراحةً عن ”دم وآلام“ جسد إلهنا، فهي هذه التي تنتمي إلى جسد الإله المتأنس، ومعها أيضاً يجب أن نضيفَ القيامةَ من الأموات لأن الذي قام هو جسد الإله[٤٨]. أمَّا أنتم، فتقولون العكس تماماً. وماذا تظنون، هل أنتم أكثر حكمةً من الرسل، وأكثر قداسةً من الأنبياء، وتقدرون أن تتكلموا أفضل من الإنجيليين الأربعة، أم أن لكم سلطاناً أعظمُ من سلطان الرب نفسه. إن اللغة التي تسمُّونها أنتم ”اللغة الإعلانية“، ليست سوى إنكاراً للحق، وتجديفاً على اللاهوت. **أمَّا التدبير، فهو واضحٌ ومُعَلَّن في الصليب؛ لأن جسده ظَهَرَ أنه جسدٌ حقيقيٌّ بواسطة سَكبِ دمه، وعندما صرخ بصوتٍ عالٍ، أعلَن عن نفسه الإنسانية التي أسلمها دون أن تنفصل عن اللاهوت، وإنما بخروجِ نفسه، مات الجسد، أمَّا اللاهوت، فلم يفترق من الجسد في القبر ولا**

[٤٨] استخدم اثناسيوس نفس التعبير في ”الرسالة إلى ادلفوس: ٣» (تعريب صموئيل كامل ونصحي عبد الشهيد ديسمبر ١٩٨١).

من نفسه في الجحيم[٤٩] وهذا هو معنى الكلمات التي نطقَ بها فم النبي: "لن تترك نفسي في الهاوية ولن تدع قدوسك يرى فساداً" (مز ١٦: ١٠). وعن هذا قال الرب نفسه: "ليس أحدٌ يأخذها مني، وإنما أنا أضعها بذاتي" (يو ١٠: ١٨)، أي عندما أكون هنا[٥٠] فسوف يظهر معنى هذه العبارة.

نفسُ المسيحِ، وجسدُه:

١٥- وهكذا، «بنفسِ» الإله، انحلَّت قبضةُ الموت، والقيامةُ من الجحيم تمَّت، والأرواحُ الأسيرةُ سَمِعَت البشارةَ المفرحة، و«بجسد» المسيح أُبطِلَ الفسادُ، وسَطَعَ عدمُ الفسادِ من القبر. وهكذا، لم ينفصل الناسوت عن اللاهوت، ولا تخلَّى اللاهوت عن الناسوت، ولا بالموت وانفصال الروح كان اللاهوتُ قد فارق الجسد، وإنما فارقت النفسُ الجسدَ، وبذلك تمَّ موتُنا نحن[٥١]. ولكن لو انفصل اللاهوت عن الناسوت، وتم الموت تحت هذا الظرف، فكيف ظلَّ الناسوتُ بلا فسادٍ وهو منفصلٌ عن اللاهوت غير الفاسد؟ وكيف استطاع الكلمةُ أن يدخُل الجحيمَ؟ وكيف أعلَن القيامة من الجحيم؟ هل قام اللاهوت من الموت عوضاً عن النفس الإنسانية التي تخصنا، وبذلك يكون قد أعلَن ما يشبِه قيامتنا؟ كلا، كيف نتصوَّرُ أن الله يخدع البشر بهذا الشكل؟ إن أقوالكم مناقضة تماماً للأسفار المقدسة، وتعليمكم لا يتفق مع التدبير الذي أُكمِل. أمَّا الكلمات: «اجلس عن يميني»

---

(٤٩) يؤكد هذا التعبير الواضح ما جاء في القُداسات القبطية وبشكلٍ خاص، فيما يعرف باسم القسمة السريانية، وهذا يعني أن هذه العبارات سابقة على البدعة النسطورية، وربما أقدم من عصر أثناسيوس نفسه. لاحظ الاعتراف الأخير في القُداس القبطي: "لاهوته لم يفارق ناسوته لحظةً واحدةً ولا طرفةَ عين ...".

(٥٠) الإشارة هنا إلى النزول إلى الجحيم.

(٥١) في الحقيقة إن القديس أثناسيوس لم يستخدم كلمة لاهوت ولا كلمة ناسوت، وإنما استخدم الله والإنسان، والعبارة حرفياً هي: وهكذا لم ينفصل الإنسان عن الله، ولا تخلى الله عن الإنسان .. الخ. ويبدو أن هذا عن قصد؛ لأن غاية اتحاد اللاهوت بالناسوت هو مصالحة الإنسان مع الله. هذه المصالحة لا يمكن أن تتم إذا تحول موت المسيح نفسه إلى ظاهرة انفصال اللاهوت عن الناسوت، لأن الانفصال معناه القضاء التام على المصالحة. وهكذا يجب أن نفهم حقيقة موت المسيح الذي هو موتنا نحن.

(مز ١١٠: ١)، فهي لا تعبِّر عن كرامة الإنسان، ولكن كرامة الله، ولكن حيث أن كرامة الله صارت كرامة الإنسان، ولكي نؤمن أن كرامة الله صارت كرامة الإنسان، قيل: "اجلس عن يميني"، و"مجِّدني أيها الآب بالمجد الأبدي" (يو ١٧: ٤). و لم يقُل ذلك لأنه انفصل عن مجده، ولكن لأنه جاء في الجسد الذي بلا مجد، ولكي يُظهِر أن صورةَ العبدِ ليست منفصلةً عن المجد الإلهي، وإنما صارت تعلِنها. ولذلك أيضاً قيل: "مجَّدتُ وسوف أُمجِّد أيضاً" (يو ١٢: ٢٨)، معلناً بذلك أن المجد الكائن قبل التجسد هو نفسه المجد الواحد الذي سوف يحلُّ في الجسد، كما قال الرسول: "صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم لأنه لمن من الملائكة قال قط، اجلس عن يميني" (عب١: ٥ – ٦). ويقيناً، فإن الكلمة خالق الملائكة لم يُصبح أقل من الملائكة، لأنه لم يكن قط أقل من الملائكة، وإنما حدث هذا عندما أخذ صورة العبد، ورفعها إلى فوق فيه، فصارت فيه أعظم من الملائكة، بل لقد صارت الخليقة كلها أعظم من الملائكة[٥٢] لأنه "صورة الله غير المنظور"، وصار "بكر كل خليقة"، وحسب بشارة الإنجيل: "فولَدَت ابنها البكر" (كولوسي ١: ١٥ — متى ١: ٢٥)، وأيضاً: «فيه خُلِقَ الكل»، وعندما تألم صارت آلامه وسيلة الخلاص من الموت، وهذا لأن كل الكائنات خُلِقَت من العدم بواسطته، مما جعله "رأس الجسد الكنيسة"، والبكر من الأموات؛ لأنه -كما هو مكتوب- يصبح متقدِّماً في كل شيء" (كولوسي ١: ١٨).

معنى اتحاد الله بالجسد:

١٦- فما هو معنى اتحاد صانع كل المخلوقات العاقلة، بالجسد؟ كيف تفهمون هذا حسب اعتقادكم، وكيف، وهو غير المتغيِّر، ولا المتحوِّل، صار إنساناً؟ إذا لم يكن قد أخذ صورة العبد، أي أخذ النفسَ الإنسانية العاقلة وتجسَّد، فبأي معنى يمكن القول إنه ظلَّ الكلمة غير المتغيِّر، الذي ظلَّ كما هو دون تحوُّلٍ،

[٥٢] يشرح اثناسيوس آثار التجسد في "المقالة٢: ٦٢ ضد الأريوسيين» على أنه: ١- رد الخليقة إلى ما كانت عليه. ٢- وأعطى البشر الأخوَّة الروحية للمخلص الذي صار يرأس كبكرٍ الخليقةَ الجديدة.

وظهر كإنسانٍ عاقلٍ، وهو الإله في نفس الوقت؟

حقاً، إن الربَّ يُدعى ''الإنسان السمائي''، ليس لأنه أخذ جسده من السماء، بل لأنه –بالاتحاد– جعل جسده سمائياً، رغم أنه أخذه من الأرض، ولذلك نحن الأرضيين قيل عنّا: «وكما السمائي، هكذا السمائيين» (١ كورنثوس ١٥: ٤٨)، أي بالاشتراك في قداسته، وهذا ما جعله يأخذ كل صفات الجسد، لكي يحوله إلى جسدٍ سمائي.

معنى «صلبوا ربَّ المجد»:

وأنتم تقولون: ''كيف صلبوا ربَّ المجد'' (١ كورنثوس ٢: ٨)، ولكن حسب فهمكم، يصبح من الواضح أن الكلمة ربَّ المجد لم يُصلَب؟ حاشا لله. إنهم لم يَمَسُّوا الكلمة عندما صلبوا الجسد وسمَّروه بالمسامير في الصليب، وبالتالي لم يسمِّروا اللاهوت، **وإنما سمَّروا الجسد، فجازت النفسُ وجسدُ الكلمةِ آلامَ الموت والقيامة**. من أجل ذلك قال الرب لليهود: ''انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه'' (يوحنا ٢: ١٩). أو كما قال النبي: ''لأن نفسه قد سُكِبَت للموت'' (أشعياء ٥٣: ١٢س)، ويوحنا يقول: ''بذل نفسه لأجلنا'' (١ يوحنا ٣: ١٦)، فهل استطاع اليهود أن ينقضوا هيكل الله، وأن ينقضوا الاتحاد الفائق بين الكلمة والجسد، بالموت؟ فالجسد لا يموت إلّا إذا انفصل عن شيء؟ وإذا لم تنفصل النفس عن الجسد، فالموت لم يتم. وإذا لم يَمُت فلا تتم القيامة. آمنوا إذن بانفصال النفس عن الجسد، كما هو مكتوب في الاناجيل: «أسلم نفسه» (لوقا ٢٣: ٤٦)، ''وأحنى رأسه وأسلم الروح'' (يوحنا ١٥: ٣٠)، وبذلك يمكنكم أن تعرفوا أيَّ روحٍ هذه التي انفصلت من الجسد، وكيف تم الموت.

أنتم تقولون: ''لقد اتحد الكلمةُ بجسدٍ بلا جوهر عقلي''، وهذا يعني أنه عند الموت انفصل الكلمة عن الجسد، وأن هذا هو الموت الذي حدث، وهذا يعني بدوره أن اليهود استطاعوا أن ينقضوا الاتحاد الفائق الذي بلا افتراق. **وهذا يعني**

أيضاً أن المسيح لم يمت موتنا نحن، بل موتاً خاصَّاً به لو انفصل اللاهوت عن الجسد. وكيف ظلَّ الجسدُ بلا فسادٍ بعد ما افترق عن الله غير الفاسد؟ وحسب رأيكم الفاسد، أصاب الفساد الجسد (لأن اللاهوت فارقه)، وصارت الآلام هي نصيب الكلمة (لأن الكلمة صُلِب)، وبذلك تفضح لغتكم عن آلام الله حقيقة اتفاقكم مع الأريوسيين (في سخرية الأريوسيين من الصلب). وحسب رأيكم أيضاً، فإن الكلمة هو الذي قام من الأموات؛ لأن القيامة يجب أن تبدأ بقوةٍ معيَّنةٍ، فإن لم تكن قد تمَّت بواسطة اتحاد الكلمة بالنفس والجسد، فقد بدأت بقيامة الكلمة ذاته، وهو ذاته الذي نزل إلى الجحيم حيث الأرواح قد سُجِنَت. وهذا مضادٌ للتعليم الصحيح.

١٧- وإذا كان الكلمة قد قاسى هذا كله، فكيف يمكن أن نَصِفَه بأنه غيرُ متغيِّرٍ وغيرُ متحوِّلٍ ... ماذا حدث لهاتين الصفتين؟ وكيف يمكن أن نحسب أن الذي نزل إلى الجحيم هو آدم الثاني الإنسان، إذا كان الكلمةُ نزل بلاهوته بدون حجاب النفس الانسانية؟ ولماذا قال الرب لليهود: ''أنا أقيمه''، أي هيكل جسده، وليس: ''أنا أقوم من الجحيم''؟ وإذا كان الكلمة قد مات واحتاج إلى آخر لكي يقيمه، فانتصر على الموت، لا يكون نصرُ الكلمة، بل نصر الذي أقامه. وأخيراً: ما معنى النبوة التي سبق ونطق هو بها على لسان الأنبياء عن ''نفسه''؟ وكيف قال الرب عندما تجسَّد وحقَّق هذه النبوة: ''أنا أبذلُ نفسي عن غنمي'' (يوحنا١٠: ١٥). أليست النفسُ هي التي تصِفَها الأسفار المقدسة بـــ «الروح»؟ وبالإضافة إلى ذلك، لقد أشار الربُّ صراحةً إلى قتل الجسد وعجز الناس عن قتل النفس لأنها روح (متى ١٠: ٢٨). **لقد كانت هي بذاتها (النفس) هي الروح التي اضطربت في يسوع (يوحنا١٣: ٢١)، وكانت هي التي فارقت الجسد وهو معلَّقٌ على الصليب. وهنا مات الجسد، وانفصلت النفس عنه، بينما ظلَّ الله الكلمة غيرَ متغيِّرٍ في الجسد وفي النفس، وفي نفس الوقت في حضن الآب، وبذلك أعلن لنا عدم تغيُّرِه.** وهكذا، بصورتنا التي صارت صورته، وبها اختبر موتنا، لكي يؤسِّس بها القيامة عندما تعود نفسه من الجحيم، وتتحد بجسده في القبر، وبذلك يبيد

الموتَ بالموت، ويتم القضاء على الفساد في القبر بدفن جسده، أمَّا الخلود، وعدم الفساد، وزوال سلطان الجحيم، فهو القيامة. **لقد سار في طريقنا نحن لكي نسير نحن في طريقه، ويفك رباطات الأسر التي ربطتنا وأَسرَتنا، وهنا الأعجوبة الفائقة التي فيها وُهِبَت النعمة.** أمَّا أنتم الذين تؤمنون بجسدٍ بلا نفس، فأنتم تعجزون عن فهم الخطية والدينونة وانقضاء الموت وكمال القيامة، وعدم تغيُّر الكلمة؛ لأنكم ابتعدتم عن مجال الأسفار المقدسة، واعتنقتم سفسطة الأريوسيين، ورفضتم التصريحات الصريحة عن النفس التي وردت في الأسفار المقدسة. **وبدون النفس الإنسانية لا يمكن أن نتكلم عن التدبير، وعن كماله.**

الكلمة هو الإله ... وهو ذاته تجسد:

١٨- لقد كان الهراطقة قبلكم فريقين: الفريق الأول يعترف به كإنسان وينكر أُلوهيته، والفريق الثاني يعترف بألوهيته وينكر تجسده، **وها أنتم صرتم فريقاً "ثالثاً" يعترف بألوهيته وبحضوره في جسد، ولكن بلا نفس**، وصرتم مثل أطفال مجانين للأريوسيين الذين يربطون عدة عُقَدٍ معاً، وتشبِه هذه أفكارهم الملتوية التي يتصيَّدون بها البسطاء بإثارة الشكوك في أذهانهم، وهم في نفس الوقت يشكّون في الإيمان كله. وبنفس هذه الروح الشريرة، يسألون البسطاء: مَن الذي وُلِدَ من مريم، "هل هو إلهٌ أم إنسان؟" فإذا جاوبهم أحدٌ وقال إنسان، قادوه على الفور إلى إنكار أُلوهيته، فانضم بذلك إلى الهراطقة الذين ينكرون أُلوهيته. أمَّا إذا قال إن المولود من مريم إلهٌ، فهو ينكر ظهوره بالجسد، ويقودونه مع الفريق الثاني الذي ينكر تجسده. وبعد ذلك يسألونه: "مَن الذي تألم؟ هل هو إلهٌ أم إنسان؟" فإذا أجاب وقال إلهٌ، فهو يُقاد أيضاً إلى التجديف مثل الأريوسيين، وإذا قال إنسانٌ، فإنه يتكلم حسب آراء اليهود. أمَّا الإجابة الصحيحة، فهي ما تؤكده الأسفار، فالكلمة هو الإله الكامل الذي من جوهر الآب، هو ذاته تجسَّد وتأنَّس مِن العذراء في الأيام الأخيرة، لكي لا نفقد الإيمان بالله، ولا ننكر ميلاده بالجسد.

كلمة «الجسد» تتضمن كيان الإنسان كله:

وحيثما وردت كلمة «الجسد»، فإن الإشارة تتضمن كيان الإنسان كله، وفي حالة المسيح يصبح من الواضح أن استخدام كلمة جسد يعني بلا خطية.

المسيح هو بذاته إلهٌ وإنسانٌ معاً:

وإذا كنتم تنسبون الآلام إلى الإنسان، ولا تذهبون أبعد من ذلك، فأنتم تقولون عكس ما تعلنه الأسفار الإلهية، فهي تؤكد أُلوهية الكلمة، وعدم تغيُّره أو تحوُّله. فالكلمةُ إلهٌ، أمَّا الناسوت، فهو الموضوع الذي يدخل في سلسلة الأنساب، لكي يظهر هو بذاته إلهاً وإنساناً، وندرِكُ نحن الجانبين اللذين تتحدث عنهما الأسفار[٥٣]. فهو منذ الأزل الإله الخالق، ومالك الخليقة، وهو أيضاً الإنسان بسبب ميلاده من امرأة، ونموه في الجسد.

هو إلهٌ من جهة قوته المحيية الفعالة، وأعماله القوية العجيبة، وهو إنسانٌ بسبب مشاعره التي هي مشاعرنا، واشتراكه في ضعفاتنا وتحمُّله أسقامنا.

هو بذاته الكلمة الله الذي أعلن لنا خلوده وعدم فساده وعدم تغيُّره. وهو بذاته الإنسان؛ لأنه سُمِّرَ على الصليب بالمسامير، وسال دمه، ودُفِنَ جسده في القبر، ونزل إلى الجحيم، وقام من الأموات. وهكذا قام المسيح من الأموات، ولكن كإلهٍ هو الذي يقيم الأموات.

---

[٥٣] يقسِّم القديس اثناسيوس الكلام عن الابن المتجسد في الأسفار المقدسة إلى موضوعين، ويوزِّع النصوص الإلهية الخاصة به إلى ما يخص أُلوهيته، وما يخص إنسانيته، مع مراعاة أن النصوص تتكلم عن المسيح الواحد غير المنقسم (مقالة٣: ٢٩ ضد الأريوسيين).